37

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

سلسلة الدراسات العلمية الموسمية المتخصصة

اللعب والتكيف النفسي والاجتماعي

حالة الأطفال اللاجئين السوريين في لبنان

فادية حطيط

أستاذة في كلية التربية-الجامعة اللبنانية

مشروع مبارك العبدالله المبارك الصباح
للدراسات العلمية الموسمية المتخصصة
تخرج هذه السلسلة بإشراف لجنة مكوَّنة
من الذوات التالية أسماؤهم

د. حسن الإبراهيم (الرئيس)

أ.د. رجاء أبو علام(*)	أ.د. بدر عمر العمر
أ.د. محمد جواد رضا(**)	د. تغريد القدسي
أ.د. صلاح مراد	د. يعقوب الحجي

يوليو 2021

(*) العضوية (1988 - 2021م).

(**) العضوية (1988 - 2012).

حقوق الطبع محفوظة

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

ولا يجوز إعادة نشر أو اقتباس أية معلومة

من هذه الدراسة دون موافقة خطية من الجمعية

الرقم الدولي المعياري:

ISBN: 978-9921-0-1671-0

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات

تتبناها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

تطلب هذه السلسلة من:

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

ص.ب: 23928 الصفاة - الرمز البريدي: 13100 الكويت

تلفون: 24748479 - 24748387

فاكس: 24749381

e-mail: info@Ksaac.org

WWW.Ksaac.org

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	6
تمهيد	7
شكر وامتنان	9
مقدمة عامة	10
الفصل الأول: مداخل نظرية	13
أولاً – اللعب والطفولة	13
1 – اللعب وسيط وظيفي	13
2 – اللعب وسيط نفس – اجتماعي	14
3 – اللعب وسيط ثقافي	15
4 – اللعب وسيط بيداغوجي	16
ثانياً – اللعب والتكيف	17
1 – التكيف	17
2 – دور اللعب في التكيف	19
ثالثاً – اللعب وبناء الهوية	21
1 – بناء الهوية	21
2 – دور اللعب في تشكل الهوية	25
رابعاً – اللعب والتثاقف	28
1 – التثاقف	28
2 – دور اللعب في التثاقف	29
الفصل الثاني: أوضاع الأطفال اللاجئين السوريين في لبنان	30
أولاً – صعوبات التكيف ما بين المجتمَعَيْن اللاجئ والمضيف	31

1 – صعوبات بنيوية	32
2 – صعوبات اجتماعية	33
3 – صعوبات تعليمية	34
4 – صعوبات تتعلق بالسكن	37
5 – صعوبات نفسية	39
6 – صعوبات ثقافية	41
ثانياً – عوامل مؤثرة في تجربة اللجوء	42
الفصل الثالث: الأطفال اللاجئون السوريون واللعب	48
أولا – معطيات الاستطلاع	50
1 – ملامح الأطفال	50
البقاع	50
بيروت	51
حي السلّم	52
2 – ممارسات اللعب	56
أ – مدة اللعب	56
ب – أنواع اللَعب	57
ج – رفاق اللعب:	60
د – اختلاف الألعاب في سوريا ولبنان	63
هـ – الألعاب التي تعلموها في لبنان	64
و – الفرق بين اللعب مع رفاق سوريين أو لبنانيين	65
ز – الأشياء المزعجة في الحي أو المدرسة	67
ثانياً – معطيات المقابلات مع الأسر	71
* مقابلة مع ابنة عمرها 12 سنة	74

* مقابلة مع فتى سوري عمره 14 سنة	75
ثالثاً - معطيات مشاهدات اللعب	76
الفصل الرابع: التكيف: مسار وعقبات	79
أولاً: الشعور بالنبذ	79
1 - مكان العيش	80
2 - المنشأ الاجتماعي	82
3 - الوضع الاقتصادي	83
4 - موقف الأهل	83
ثانياً - اتجاه التكيف	84
الألعاب الحركية	85
الألعاب الجماعية	86
اللعب الإلكتروني	88
خلاصة	92
المراجع	94
أولاً: المراجع العربية	94
ثانياً: المراجع الأجنبية	96

إهداء

إلى أحفادي:

ليلى وصافي وآية وريّا وسلمى وناديا

مزدوجي الجنسية متعددي الثقافة ومتنوعي الأحلام

تمهيد

لبنان الذي يخرج من أزمة ليدخل في كارثة، والذي ندأب على القول بأنه «أحلى بلد بالعالم»، والذي أراه أشبه بمراهق مفعم بالحيوية والأفكار والطموح والتهور، يفتح الشهية على البحث.

إنه بلد يتربع على قائمة الدول من حيث نسبة عدد اللاجئين فيه إلى مجموع سكانه. وتجربة اللجوء إليه ليست جديدة، بل هي بسبب قِدَمها في الزمن، باتت تشكل سمة أساسية في تركيبة البلد الاجتماعية والثقافية والسياسية. ويتغنى اللبنانيون بهذا الواقع، من خلال شعار «لبنان المتنوع»، الذي يتفقون عليه بالإجماع. ومع ذلك، فالكلام شائع عن العنصرية فيه. فكيف يستوي الكلام عن تنوع هذا البلد واستقباله للاجئين وعن عنصريته في آن؟

وبدون العودة إلى الأرقام (مليون ونصف سوري في لبنان!)، التي يقول البعض بأنها مضخمة، يكفي السير في شوارع مُدنه وزيارة البنايات والدخول إلى البيوت أو زيارة القرى حتى ترى مدى سعة وجود السوريين وشدة اختلاطهم. والعدد الأكبر من السوريين أتى مع عائلات بأكملها. إنها حياة أسرية بالكامل انتقلت من مكان إلى مكان، حملت معها تقاليدها وعاداتها وتطلعاتها، وأتت إلى مكان لا يتسع لها. وكان على الأهل أن يتدبروا شؤون أُسَرهم. والقيام بما يقوم به الأهل عادة؛ حماية الأطفال وتأمين فرص تحقيق الذات. ولئن كانت هذه المهمة صعبة على وجه العموم بالنظر إلى أنها تُبنى بالتجربة والتعلم، وليس فقط بالنقل عن الآخرين، فإنها في الظروف الطارئة أو المستجدة أو

المؤقتة، كمثل ظروف الاقتلاع واللجوء، من الطبيعي أن تزداد صعوبة.

من هنا، من مشهد اللاجئين الذين يتحركون في مجال يتصف بالاهتزاز وعدم الاستقرار وعدم الوضوح، انطلق الاهتمام البحثي لهذه الدراسة. ولكن ينبغي أن أشير إلى أن هذا الاهتمام ليس محايداً، فهو ينطلق من انحيازات لا لبس فيها: الانتماء إلى الوطن المتنوع، وإلى الطفولة المتفتحة، وإلى اللاجئين الحالمين.

*****

شكر وامتنان

أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العميق أولاً للجامعة اللبنانية التي كانت المحفّز والداعم لإجراء هذه الدراسة. وثانياً للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة التي تبنت نشر الدراسة، وثالثاً لزميلتيّ في الجامعة اللبنانية وفي تجمع الباحثات اللبنانيات الدكتورة مود اسطفان هاشم والدكتورة نهوند القادري اللتين قرأتا المسودة وقدمتا ملاحظات قيّمة على مضمونها، وأخيراً لزوجي الدكتور عدنان الأمين الذي قرأ ولاحظ وعلّق وناقش مسائل عديدة أثارتها الدراسة.

مقدمة عامة

منذ العام 2011، شهد لبنان دخول اللاجئين السوريين بأعداد كبيرة هرباً من الأوضاع السياسية في بلدهم. ولقد نجم عن هذا الأمر توتر واضطرابات بين اللبنانيين والسوريين من جهة، وزيادة التفاعل والتواصل بينهم من جهة أخرى. هذه الوضعية تحمل في طياتها الكثير من التغيرات على صعيد الحياة الداخلية للأفراد من الجهتين. هنالك علاقات أكثر قرباً نشأت بفعل اللجوء وأضيفت إلى العلاقات السابقة التي كانت دوماً موجودة. وقد يكون السهم الذي يشير إلى اتجاه السيطرة (على الأقل السياسية) من ثقافة إلى أخرى قد انقلب من جهة إلى أخرى، ولكن مع ذلك لا يمكن إلا الاعتراف بالتأثير المتبادل بين المجتمعين المضيف واللاجئ، والذي ينعكس في مواقف وتصورات وعلاقات تحمل آثار ذلك الواقع المتقلب.

لقد هدفنا في هذه الدراسة إلى التعرف على تلك الآثار، مركّزين النظر على أوضاع الأطفال السوريين الذين لجأوا مع أهلهم إلى لبنان، للكشف عن عملية التكيف التي يقومون بها، ومعرفة الآليات النفسية الاجتماعية التي تتكشف لديهم بنتيجة العيش في مجتمع وظروف طارئة. وكان اختيارنا للفئة العمرية الصغيرة مرده صعوبة دراسة هذا الموضوع لدى الأشخاص البالغين. فهؤلاء يعانون في أحيان كثيرة من صعوبة التكيف مثلما تكشف الدراسات العديدة حول أزمات اللجوء، ولكنهم مع ذلك يتعايشون مع هذه الصعوبة، ولا يضطرون، وقد لا يستطيعون حتى لو أرادوا، أن يوائموا بناهم النفسية مع بيئة اجتماعية جديدة. فالملاحظ أن اللاجئين البالغين كثيراً ما يميلون إلى تشكيل حيز خاص بهم داخل

الفضاء العام الذي يعيشون فيه، ليمارسوا فيه قناعاتهم وقيمهم، وكثيراً ما يشعرون بالضيم لاضطرارهم للتخلي عن ممارسة معينة أو لتبني ممارسة أخرى. أما الأطفال الصغار فإن التكيف هو من أبرز سمات بنيتهم النفسية. إنهم في طور التكون، وهم مستعدون للتأقلم مع الظروف، ولا يتمسكون بقيم أو قناعات أو محددات معينة، وجلّ ما يعنيهم هو الوجود في بيئة آمنة ومع أشخاص حاضنين وأولهم الأهل، وكل ما تبقى هو قابل للتغير وللتعديل وللتجريب. وفي الواقع، يضعف لديهم هذا الاستعداد للتأقلم تدريجياً مع العمر ومع نضج الجهاز النفسي والدخول في عمر البلوغ.

إنها ولا شك تجربة ليست سهلة نظراً لظروف التهجير التي تضعف مشاعر الأمان، وتتطلب توظيف قدرات نفسية لخوضها. إن الأطفال كما بات ينظر إليهم حالياً في العلوم التربوية والنفسية هم كيانات فاعلة وقادرة ليس فقط على التأقلم، وإنما أيضاً على التأثير. إنهم يتشربون ما يقدم إليهم، ولكنهم يتفاعلون معه ويغيّرون في توجهه ويعيدونه مختلفاً. بكلام آخر، هم يخلطون عناصر الحياة المحلية مع عناصر الحياة الماضية المأخوذة من الذاكرة أو من أحاديث الأهل، ويصنعون تجربتهم الخاصة. وبما أن تكوّن الشخصية ونموها يحدثان ليس وفقاً لواقع آني ومحلي وخاص بالأطفال، بل يحصلان بالعلاقة مع تجربة الأهل وفي ظل مواقفهم الواعية واللاواعية التي يعيشونها، فلا شك بأن ثمة مواقف ستنشأ لدى هؤلاء الأطفال عندما يكبرون تجاه المجتمع المضيف.

وفي واقع الحال، ثمة كلام كثير حول التعصب والعنصرية التي

يعاني منها اللاجئون في المجتمعات المضيفة كافة. ولقد عبَّر المجتمع اللبناني عن قدرة فائقة على التعايش، على الرغم من ظهور بعض السلوكيات التي تنم عن الضيق وثقل الحمل، ولكن ذلك لا يعوض عن قسوة الظروف الصعبة (فقر وحرمان وتشتت) التي يعيشها اللاجئون. إن الصعوبة في حياة اللجوء أمر محسوم، ويعاني منها ليس فقط الأطفال اللاجئون وإنما أيضاً أترابهم اللبنانيون على حد سواء في ظل انهيار اقتصادي وظروف معيشية صعبة. من هنا، نتوقع أن يكون هنالك نقمة لدى الأسر اللاجئة والمضيفة تتجسد في مظاهر مختلفة لدى أبنائها الأطفال.

ولقد ارتأينا دراسة الموضوع من مدخل اللعب، ذلك أن من وظائف اللعب هو التعبير عن مكنونات الشخصية والمساعدة على بناء التوازن في البنية النفسية، وبالتالي من خلال اللعب سنلقي الضوء على أنواع هذا التعبير وأشكاله ومعانيه، وعن مظاهر المعاناة التي يحملها وعن شكل التكيف الذي يشي به.

الفصل الأول

مداخل نظرية

أولاً - اللعب والطفولة :

إن اللعب يشكل حاجة نمائية أساسية لدى الأطفال، كما أنه يشكل وسيلة يعبّر الطفل من خلالها عما يختلج في داخله وعن الميول والمآزم والصراعات التي يعيشها. فاللعب يساعد على فهم الأطفال من مداخل عديدة أهمها:

1 - اللعب وسيط وظيفي:

لا يمكن فهم عالم الطفولة نظراً لغياب القدرات الترميزية والتجريدية لدى الأطفال إلا من خلال ما يصدرونه من نشاط وتواصل وتفاعل مع المحيط. ويبدو اللعب هو الوسيلة الأكثر ملاءمة لمثل هذا الفهم. إن اللعب هو اللغة التي تقدم الطفولة من خلالها نفسها إلينا. واللعب لغة كسائر اللغات لها قواعد وبنى وأنظمة وتتضمن معاني يمكن فكها وفهمها.

وقد يكون فينيكوت **Winnicott** من أكثر الذين شرحوا الوظيفة العلائقية للعب، فهو يرى أن اللعب يشكل وسيلة لتحقيق الوظائف التالية:

* السرور: يلعب الأطفال لأنهم يحصلون على السرور من كل التجارب المادية والعاطفية التي يتيحها اللعب.

* التعبير عن العدوانية: يتيح اللعب للطفل التعبير عن العدوانية بدون

أن يرتد الأذى الناجم عنها على الطفل أو على أي شخص آخر. إن اللعب يشكل بيئة آمنة للتعبير عن العدوانية.

* السيطرة على القلق: يلعب الطفل من أجل أن يسيطر على الأفكار والنزوات المقلقة التي لا يعرف كيفية السيطرة عليها في الواقع. وإذا منعنا الطفل من اللعب فإنه سيتحول ناحية أشكال دفاعية أخرى.

* تنمية التجربة: ليس لدى الطفل سوى اللعب والتخيل الهوامي (Fantasme) ليثري خبرته ويكتشف ثراء العالم.

* إقامة صلات اجتماعية: يتعلم الأطفال في اللعب إقامة صداقات وخصومات. ويشكل اللعب إطاراً للتفاعلات العاطفية والشخصية.

* تكامل الشخصية: يربط اللعب بين علاقة الطفل بالحياة الداخلية وعلاقته بالعالم الخارجي. ويشكل اللعب مجالاً للربط بين الوظيفة الجسدية والوظيفة الفكرية.

* التواصل مع الآخرين: يساعد اللعب، مثله مثل الأحلام، على التعرف على الذات وعلى التواصل في مستوى عميق. إن اللعب هو اللغة التي يحاول الأطفال بواسطتها التواصل مع الكبار في محيطهم.

2 – اللعب وسيط نفس-اجتماعي:

اتفق علماء النفس التربوي والاجتماعي على أن اللعب يساعد على تشكيل شخصية الطفل من خلال وظيفته كوسيط للتنشئة الاجتماعية. يتدرب الأطفال أثناء اللعب على ممارسة الأدوار الاجتماعية المستقبلية. ثم مع نشوء التيار السوسيولوجي المعرفي، بدأت الإشارة إلى التشابك ما بين اللعب وبناء الذات والبناء الاجتماعي للواقع(Gaussot, 2001).

فمن خلال اللعب يقوم الأطفال بتفكيك السلوك المعقد والهجين للبالغين إلى سلسلة من المفاهيم، وبواسطة النشاط المتمثل أساساً باللعب، يحاولون استيعاب هذه المفاهيم ومن ثم يتعلمون سلوك البالغين. إن اللعب يبدو وكأنه مختبر الحياة الاجتماعية، وبواسطته يقوم الأطفال ببناء الواقع الاجتماعي واكتشافه واختراعه (Gaussot, 2001).

وهنالك أمثلة مختلفة من مجتمعات قديمة وحديثة عن كيفية استخدام اللعب كإحدى الوسائط التي تلجأ إليها هذه المجتمعات من أجل تمرير الرسائل الاجتماعية. على سبيل المثال لعبة الحية والسلالم، ومصدرها الهند، واستخدمت من أجل تعليم الهندوسية. وهي نوع من التمثيل الرمزي لسفر الروح من الأرض إلى السماء. حيث تمثل السلالم الخير، وتمثل الحية الشر، وحين يكون الإنسان صالحاً يكون الحظ (الزهر) معه فيرتقي نحو السماء وحين يكون سيئاً فإن الحياة تعاقبه بالهبوط نحو الأسفل أو الجحيم (Chamberland & Provost,1996)، بينما في المجتمعات الحديثة ذات المنحى الاستهلاكي حيث ثمة ضرورة لتشجيع أسلوب حياة قائمة على البيع والشراء، فنرى أنه تم اللجوء إلى إنتاج الألعاب القائمة على التملك وعلى مظاهر الثراء، وعلى المفاوضة والمقايضة (مثل لعبة المونوبولي مثلاً) مما يؤثر على معتقدات الأطفال ويهيئهم لحياة مستقبلية مرتكزة على دورهم المفترض كمستهلكين(Gaussot, 2001) .

3 – اللعب وسيط ثقافي:

ويقدم لنا فيجوتسكي **Vygotski** فهماً حول وظيفة اللعب كوسيط ثقافي، حيث يعطي اللعب دوراً مركزياً في حياة الأطفال، ويعتبره

محفزاً على النمو، وذلك من خلال مفهوم «منطقة النمو المجاور» ZPD (Zone of Proximal Development)، ويرى أن الطفل يتخطى ذاته أثناء اللعب، ويصعد درجة في البناء المعرفي، وباختصار يشتمل اللعب على كل إمكانيات النمو الكامنة لدى الطفل. ويشدد فيجوتسكي على ناحية هامة، وهي أن اللعب حتى وإن بدا حرّا، إلا أنها حرية وهمية، فهو محكوم دوماً بالقواعد، وهي قواعد مستمدة من البيئة المحيطة (Wood&Attfield, 1996). ولكن الأطفال حين يلعبون فإنهم لا يطبقون ما يعرفونه فقط، وإنما يتعلمون أشياء جديدة، ويؤدي بهم إلى تفكير جديد، بالاستناد إلى ثقافة المجتمع التي يعيشون فيها (Gaussot, 2001).

4 - اللعب وسيط بيداغوجي:

لقد دخل اللعب في مناهج التعليم منذ وقت بعيد نظراً لإمكانية استثماره في عمليات اكتساب المهارات والقدرات المعرفية. وانطلاقاً من نظرية بياجيه piaget يمكن فهم الوظيفة التربوية للعب، فبرأيه يشكل اللعب وسيطاً يمارس الطفل من خلاله اكتشافاته، ويطبق معارفه. إنه يمثل للأطفال ما تمثله المهنة للكبار. وإن كانت المهنة تؤمن دخلا للكبار إلا أن مهنة اللعب تؤمن للصغار تطويراً للمهارات العقلية من خلال التكرار والتجريب. وثمة أنماط للعب، مثلما هنالك أنماط للمهن، غير أنها ليست مرتبطة بميول أو بقرارات وإنما هي واجبة الحدوث بحسب مراحل النمو، لأن نمط اللعب مرتبط بطبيعة مرحلة النمو التي يمر بها الأطفال، من لعب استكشافي ووظيفي، إلى لعب رمزي إلى لعب قواعد (شربل، 1991).

ثانياً - اللعب والتكيف:

يترابط اللعب مع التكيف في مرحلة الطفولة بشكل لا يمكن فصمه. اللعب يرتبط بدرجة التكيف والتكيف يرتبط بدرجة اللعب، إنهما وجهان لحياة طفولية سوية.

1 - التكيف:

تحمل فكرة التكيف بداخلها معنى التغير وفقاً لمعيار معين، وهي تستبطن نوعاً من الإلزام. ويُستخدم هذا المفهوم في مجالات العلوم كالبيولوجيا مثلاً وفي مجالات العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع وعلم النفس. فالإنسان يتكيف مع بيئته منذ ولادته. يتكيف مع المناخ ومع الأشخاص ومع التفاعلات التي تتسنى له وتستمر هذه العملية مدى الحياة.

وفي الواقع فإن مفهوم التكيف أخذ الحيز الأكبر في ميدان علم النفس الاجتماعي واعتبر مفهوماً مفتاحياً لمعرفة درجة مقبولية السلوك. فالشخص المتكيف هو الهدف الذي يسعى إليه النفسانيون والتربويون. أما غير المتكيف فهو الضد الذي لم يستطع، بسبب «إعاقة» ما، أن ينمو وفقاً للمعايير الاجتماعية، وينبغي إعادته إلى طريق التكيف. وبهذا المعنى فإن التكيف هو المؤشر الواضح عن مسار يقال عنه أنه «سويّ» للطفولة وعن نجاح التنشئة الاجتماعية وعن اكتساب ما يلزم من قدرات تواصلية ومعرفية.

تتطلب عملية التكيف جهوداً كبرى من قبل الشخص ومن قبل الأشخاص المحيطين به. إذ لا يعقل التفكير بأن الشخص يتكيف مع

أي شيء وفي أي ظرف. إن النظرة اليوم للأفراد، ومنذ طفولتهم، تقول إنهم فاعلون وليسوا متلقين سلبيين. إنهم قادرون على التغيير في البيئة حينما يكون مثل هذا الأمر أكثر تلاؤماً مع احتياجاتهم. إذن التكيف سيرورة بين طرفين فاعلين، الفرد من جهة والبيئة من جهة أخرى. والبيئة هنا ليست فقط أغراضاً وموضوعات، وإنما أيضاً هي أشخاص: أهل وأخوة وأتراب يحتاج الأطفال للتفاعل معهم. وتبدو العلاقة ما بين هذين الطرفين محكومة أساساً بعلاقة السلطة التي تعبّر عن تفاوت القوة والمكانة الذي يتغير مع الزمن ومع الظروف المكانية.

هذا في ما يتعلق بأهمية وظيفة التكيف في ظل الأوضاع العادية، وهي من دون أدنى شك تزداد أهمية في الأوضاع الطارئة، التي تتسم في حالة اللجوء بصعوبات متعددة. على رأس تلك الصعوبات تبرز صعوبة انفصال الأُسر عن محيطها الأليف واضطرارها للهرب إلى أماكن أخرى مختلفة. فيشعر الأهل بأنهم عزّل أمام وضعية جديدة، وعليهم اجتراح وسائل للتعامل معها. ويزيد الأمر سوءاً حينما تترافق تلك الوضعية مع شروط اجتماعية صعبة، وتتسم بالفقر وبالحرمان وبغياب الأطر الناظمة للحياة اليومية، مع افتقاد إلى عناصر الأمان الأساسية. فالطارئ والمؤقت والصعب والمتوتر التي تعيش فيه الأسرة تصبح كلها عوامل مؤثرة في حياة هؤلاء الأطفال أنفسهم. ويمكن القول إن الأسرة اللاجئة تعيش في نظام علائقي مترجرج وغير ثابت مع الخارج، يؤدي إلى اهتزاز المرجعية السلوكية التربوية التي كانت معين الأهل لتسيير شؤون الأطفال.

2 – دور اللعب في التكيف:

إن الدور الأساسي للعب هو تمكين الأطفال في الدخول في هذه العلاقة، من خلال استكشاف البيئة وفهمها وامتلاك المهارات اللازمة للتعامل معها والتحكم فيها. والملاحظ أن الأطفال الذين تسنح لهم فرص اللعب المتنوع والحر، هم أكثر قدرة على تخطي الصعوبات التي يعيشونها، من خلال عيشها في إطار غير واقعي، ولكنه محمي بحيث يسمح على التدرب على إستراتيجيات المواجهة، الأمر الذي يساعدهم لاحقاً على تجاوز ذلك التفاوت في السلطة ما بينهم وبين الآخرين. وباختصار، من خلال اللعب يتعلم الأطفال أكثر عن ذواتهم، وعن الآخرين وعن الحياة نفسها، ومن ثَمَّ يساعدهم على السيطرة على القلق وخوض تجربة النُّضج وتجاوز مصاعبها.

ويساعدنا مفهوم اللعب كمساحة انتقالية (Transitionel space) استناداً إلى أبحاث فينيكوت Winnicott حول الأطفال، على فهم ما يقوم به اللعب بحيث يمكّن الطفل من مجابهة الصعوبات التي تنشأ بشكل عادي في أثناء عملية النُّضج، والتي يتضاعف تأثيرها في أوقات الأزمات. وتصبح وظيفة اللعب أكثر إلحاحاً. إن اللعب بهذا المعنى يشكل مساحة انتقالية ما بين داخل الفرد والحياة الخارجية، فيسمح للطفل باستخدام هذه المساحة وما تتضمنه من أغراض حسبما يشاء. فيقوم بتدمير هذه الأغراض أو يحتفظ بها وبذلك ينتقل من التعامل مع الموضوعات الداخلية إلى التعامل معها بوصفها ظواهر خارجية. ومن خلال إخراج هذه الموضوعات من ذاته فإنه يقوم ببناء الواقع (Anzieu, et al., 2000).

إذن، إذا كان التكيف مع الظروف الخارجية والقواعد والالتزامات المفروضة من المجتمع أمراً شائكاً في الظروف العادية ويحتاج فيه الأطفال إلى اللعب، بوصفه مساحة آمنة يدرؤون عن أنفسهم فيها الضغوط الآتية من الخارج كما من الداخل بفعل التغيرات التي تحدث نتيجة النمو، فإنه في الظروف الصعبة مثل ظروف التهجير واللجوء يبدو التكيف أكثر صعوبة على نحو كبير. ويمكن للمرء أن يفكر بأن البيئة الجديدة التي يوجد الأفراد فيها قد لا تكون دائماً بيئة مرحبة أو "مساندة" (Holding environment) حسب تعبير فينيكوت الذي جعل من هذا المصطلح ركيزة أساسية في فهم التوازن النفسي لدي الأفراد.

وقام مفكرون باستخدام مصطلح البيئة المساندة في إدارة الشركات والعمل الاجتماعي عموماً وليس العيادي فقط. في أجواء الشركات تعتبر البيئة المساندة مفيدة في تأمين «تحديات تكيفية ملائمة ووسائل دعم للموظفين فلا تدفع بهم إلى النقطة التي لا يعودون فيها قادرين على التصرف، ولا تسمح لهم بتجنب القيام بمهمات التكيف الصعبة. إن خلق البيئة المساندة وتقويتها وصيانتها، بحيث يستطيع الأشخاص مناقشة قيمهم وتصوراتهم وأفكارهم بشكل آمن، هو جانب هام من العمل القيادي التكيفي (Katsman, 2013). أما في العمل الاجتماعي، وبالنسبة إلى العمل مع اللاجئين تحديداً، فإن "البيئة المساندة"، بحسب جو ويلدنغ، تشتمل على الدعم الخيري ومظاهر الحرية ومبدأي المصلحة والمشاركة الواردتين في اتفاقية حقوق الطفل. وبرأيه فإن نوعية البيئة المساندة هي أساسية من أجل تكيف الأطفال المهاجرين داخل العائلات المضيفة، الحاملين لموارد انفعالية من أهلهم،

وللمواقف إزاءهم في البلد المضيف وظروف الرحيل، من بين العديد من الأمور، وتؤثر في كيفية عيش الطفل الحزن على خساراته المتعددة (Wilding, 2017).

ثالثاً- اللعب وبناء الهوية:

في طريق التكيف، يقوم الطفل ببناء ذاته وارتباطاته. وتدريجياً تتبلور هويته التي ستكون أداته في التواصل مع العالم الخارجي.

1- بناء الهوية:

في علم النفس ترتبط الهوية بالشخصية التي تتحدد بجانبين أساسيين، جانب يتميز بالكثرة والتغير، ويخص مكونات الشخصية البيولوجية والنفسية والاجتماعية وكل ما هو قابل للزيادة والنقصان وقابل للتغير والاندثار، وجانب يتميّز بالوحدة والثبات ويخص الأنا أو الذات الواحدة الثابتة. تجتمع في الشخصية الوحدة مع الكثرة والتغير مع الثبات من غير تناقض، بمعنى أنا أو ذات واحدة ثابتة تعيش التغير والكثرة في الأحوال والصفات (بو بكر، 2016). هذا من ناحية إدراك الشخص نفسه لهويته الشخصية، ولكن من ناحية موضوعية تتركب الهوية من عناصر محددة منها الجنس والنسب والانخراط الاجتماعي للأسرة والشرط الإنساني العام. ومع أن هذه العناصر تبدو «معطاة» للشخص، بيولوجياً واجتماعياً، إلا أنها لا تصبح هوية الشخص إلا بعد أن يحوز عليها ذاتياً في مسار طويل وعشوائي لا يصل إلى مداه قبل مرحلة المراهقة. وبعض محطات الحياة، الصعبة إلى حدّ ما، يمكن أن تؤثر على بناء الهوية (Calin, 2019).

وفي علم الاجتماع ترتبط الهوية بالمجتمع، وهي ظاهرة اجتماعية تتحدد بالعناصر الاجتماعية الثابتة. فالجانب الثابت الدائم الواحد الذي لا يتغير بتغير الأوضاع والظروف في الفرد وفي المجتمع وفي الطبيعة ومن دونه لا يقوم مجتمع ما وينهار بانهيار هذا الجانب هو هوية هذا المجتمع (Calin, 2019). وحتى يصبح هذا الثابت الاجتماعي جزءاً من هوية الفرد، عليه أن يشعر بالانتماء إلى مكونات هذه المجتمع (جماعة، طبقة، دين، مهنة... إلخ). ومن هذا المنطلق، فإن الإحساس بالانتماء ضروري لتكوين الهوية.

وفي المجال التربوي، تختلف عملية تكوين الهوية من فرد إلى فرد، من مجتمع إلى مجتمع ومن ثقافة إلى ثقافة، فلن تتكوّن هوية متماسكة إلاّ نتيجة تفاعل توافقي للفرد مع ماضيه وجذوره العائلية وخبرات الطفولة في شتّى المجالات من جهة، وبينه وبين تطلّعاته المستقبلية ضمن الفرص المتاحة له والحدود الواقعية لطموحاته الشخصية من جهة أخرى. إن البحث عن الهوية ليس «هروباً» من الطفولة ولا غوصاً في أحلام مستحيلة المنال، إنها عملية صحية، مرنة، ديناميكية، يتعرّض خلالها الفرد إلى نماذج سلوكية وأخلاقية مختلفة وصولاً إلى التزامه في نهاية المطاف بمجموعة من القيم والمفاهيم تتكيّف مع تاريخه الشخصي وتقدّم له أرضية صالحة لتحرّكاته المستقبلية (ورشة الموارد العربية، د.ت.).

ينطبق هذا الكلام على بناء الهوية بشكل عام. ويبدو لنا أن هوية الطفل لا تشذ عن هذه القاعدة، فهي ليست واحدة وليست جامدة. والفرق أن العنصر الثابت فيها ليس غالباً، فالذات لم تتسم بعد

بالصلابة والجمود، في حين أن العناصر المتغيرة كثيرة ومتنوعة، وكلها تشكل احتمالات متساوية للتجريب والاستيعاب، كما يؤثر كل واحد منها على مختلف العناصر، ويخلخل تكوين الهوية التي قد تتعرض إلى اهتزازات بنتيجة عوامل طارئة. وتجتمع كل عناصر الهوية معاً، بتناغم أو بصراع، من أجل تحديد ذات الشخص، على الصعيد النفسي وأيضاً على الصعيد الاجتماعي. فأحياناً يكون التقارب في شكل هوية معينة مع الأعضاء الآخرين (المهنة، الطائفة، الجندر... إلخ) سبباً في التشارك ببعض الاهتمامات واللقاء. إنها جوانب من الشخصية تمثل أكثر من مجرد مظاهر وإنما تحمل قناعات ومضامين ومعان، وتصب في دعم التفاعل بين المجموعات المتنوعة في المجتمع. وبهذا المعنى فإن الهوية هي بناء مستمر، يعكس حزمة من الافتراضات والرؤى حول العالم، انطلاقاً من الزاوية التي يعيش فيها. أما كيف سيستخلص الفرد هويته انطلاقاً من كل هذه الاحتمالات فذلك سوف يجري في مسار متعدد الجوانب. أول هذه الجوانب سوف تكون التجربة التي تقدمها الأسرة والتقاليد والجيرة لأنها تحدد النماذج المتاحة للتماهي، ثانيها هي الخصائص الظاهرة لدى الفرد فكلما كانت قريبة من مواصفات المجموعة التي يعيش فيها كلما سهل النظر إليه على أنه ينتمي إليها وانتقلت إليه مفاعيل هذه النظرة بحيث يرى نفسه منتمياً طبيعياً لها (Foner et al., 2018).

وبالطبع ثمة إستراتيجيات يعتمدها الفرد بشكل دائم من قبول ورفض للاحتمالات المقدمة إليه من البيئة. وتكمن الصعوبة حين يتم التعامل مع بيئة جديدة يعيش فيها الفرد على أنها متناقضة مع البيئة الأصلية الأهلية، فكل تبنٍ لعنصر من عناصر الثقافة الجديدة

سوف يحمل معه رفضاً مقابلاً للعنصر الأولى، ويخلق بذلك صراعاً ما بين «هوية» صافية وأصلية وبين هوية جديدة ومبنية. من هنا نفهم الصعوبة التي يعيشها الشخص اللاجئ. فالهجرة، القسرية أو الطوعية، تؤدي إلى تغير في موقع الشخص، وتهز إستراتيجيات التكيف والانتماء التي كانت لديه، وتؤثر حكماً على شعوره بهويته الذاتية والاجتماعية.

عندما يلجأ الطفل إلى مجتمع آخر فإنه يتأرجح بين ثقافتين، ثقافة أهله ومحيطه السابق وثقافة المحيط الجديد. ويصير لزاماً عليه أن يتعلم قيم الثقافتين وسلوكهما، وأن يحاول الانتماء إلى كليهما. لذلك تكون هوية اللاجئ أو المهاجر مختلفة عن هوية أهله ولكنها أيضاً مختلفة عن هوية الناس الذين يعيش معهم، فهو مضطر إلى التوفيق ما بين عناصر غير متجانسة، وقد تكون أحياناً متناقضة أو متضاربة. إنه يقوم بنوع من التوليف ما بين هذه العناصر، تبعاً لما تلقاه منها وللمرجعية الفكرية التي استند عليها لفهمها. من هنا يرى البعض أن اندماج الأطفال اللاجئين هي عملية طويلة ومعقدة وتقوم على البناء الدائم للتفاعل ما بين عدة مرجعيات ثقافية. وعلى الهوية أن يعاد تشكيلها بشكل مستمر (Mayoraz, 2006).

وتتأثر الهوية الشخصية للأطفال بإحساسهم الذاتي حول تميزهم عن الآخرين، وشعورهم بالتفرد. أما الهوية الاجتماعية فتعود من جانب آخر إلى مدى إحساسهم بأنهم متماثلون مع الآخرين، من خلال التماهي مع الأهل أو مع ثقافة الأقران. إن عوامل مثل العمر والجندر والخلفية الدينية والاثنية والاهتمامات ونماذج الأدوار والهوايات والمواهب، تلعب دوراً في بروز مفهوم الذات لدى الطفل. وبناء الذات هو أمر جوهري

بالنسبة إلى حسن الحال لدى الأطفال؛ لأنه يخولهم السيطرة على حياتهم وتنظيم تجاربهم (Raburu, 2015).

وفي كل الأحوال فإن الدراسات تميل اليوم للقول بأن الإنسان يمكن أن تكون له هوية متعددة الأبعاد، أو هويات متعددة. ولم تعد فكرة الهوية الواحدة الجامدة التي لا تتغير تبدو متلائمة مع فكرة الانتقال ومحو الحدود بين الثقافات وظاهرة الهجرة المتزايدة في العالم. وفكرة التصارع بين الهويات هي أيضاً آخذة بالاضمحلال بالنظر إلى عولمة الثقافة ونظريات ما بعد الحداثة التي تقوم على استيعاب التعارض والتنوع والانفتاح على الطارئ المتغير أكثر مما تقوم على الوحدة والانغلاق.

يصح هذه الكلام على الأفراد عموماً إلا أنه يصح أكثر على الأطفال، لأن هؤلاء هم بالأصل بصدد تكوين هوياتهم التي ما زالت رخوة، وبالتالي فإن الهجرة قد تكون باباً لاتساع الأفق وتنوع المصادر التي تثري ولا تغلق على الذات، اللهم بوجود بيئة مساندة أو بيئة آمنة إلى حد كافٍ، بحسب تعبير فينيكوت. عندما يمتلك الأطفال تجارب إيجابية فإنهم يطورون فهماً لأنفسهم باعتبارهم ذوي مكانة واحترام وانتماء، أي أن العلاقات مع الآخرين هي الأساس الذي تبنى عليه هويتهم (Kindalin, n.d.).

2- دور اللعب في تشكل الهوية:

تتبدى أهمية اللعب في الكثير من مجالات حياة الأطفال التي تتضافر في ما بينها لتشكيل هوية الطفل. ومن أبرز تجليات هذه الأهمية يذكر الباحثون (National Institute of Mental Health, 1981) بعض الأمثلة منها:

* اللعب هو طريقة العيش والتعلم.

* اللعب هو صندوق الكنز الذي يملأه الأطفال بأنفسهم.

* اللعب هو مساحة ينمو فيها ومن خلالها الجسد.

* اللعب هو وسيلة لإتقان مهارات الحياة وتعلم وقائعها وحل المشكلات.

* اللعب هو أداة لتعلم المحاكاة Imitation.

* اللعب هو باب للتعاون والتفاعل مع الآخرين.

* اللعب هو مجال لتعلم الدور الجنسي.

* اللعب هو أساس للإبداع والخيال.

إن النواة الأساسية أو الصلبة للهوية تتشكل من الأبعاد الثلاثة الأولى وهي أنا الجسد (أنا صاحب هذا الهيكل المغلّف بالجلد)، وأنا الجندر (أنا صبي أو بنت)، وأنا الأسرة (أنا ابن/ة فلان وفلانة)، واللعب هو المجال الأكثر رحابة للتمرين على هذه الأبعاد النواتية للهوية. في أثناء اللعب (وخصوصاً الألعاب الحسية الحركية) ينمو الجسد وينمو الإحساس به ويتعرف الأطفال على حواسهم وعضلاتهم وقدراتهم الحركية. وفي اللعب أيضاً، خصوصاً ألعاب الاكتشاف، يتعلم الأطفال تعيين مكانتهم في أسرتهم وفي محيطهم (هذا بابا، هذه ماما، هذا أخي، هذا بيتي). ومن خلال اللعب أيضاً، خصوصاً ألعاب التظاهر (Pretending play)، يجري تعلم الأدوار الاجتماعية (قال أنا عروس، أنا طبيب، أنا معلمة، أنا إطفائي... إلخ). ومجمل هذه الألعاب التي تشكل نواة الهوية تكون في الأغلب حاملة لقيم مستمدة من الثقافة المحلية. ومن المعلوم أن النواة الأكثر صلابة في الهوية هي تلك المتصلة بالحلقة الأضيق من الانتماء.

أما الجوانب الرخوة والمتغيرة في الهوية فتتعلق بالمهارات والمواقف والمعارف. ويقدم اللعب فرصاً عديدة لإنماء الشخصية في هذه الجوانب (لعب التفكير، لعب التكنولوجيا، لعب المجتمع). وفي العادة تكون هذه الألعاب أكثر ميلاً لنقل ثقافة معولمة وتعكس التطور الحاصل في العالم على صعيد المعرفة والسلوك، ويجري إنتاجها بصورة متواصلة وتتضمن مروحة واسعة من النماذج. وبالطبع، كل مجتمع يختار من بين هذه النماذج ما يتلاءم مع اتجاهاته وقيمه. ولكن تبقى هذه الألعاب مرنة وقابلة للتغيير لأن الأطفال أنفسهم يتغيرون بسبب تفاعلهم مع بيئات مختلفة. وهذا الجانب هو الذي يجعل الهوية تتسم بشيء من الليونة والقابلية للتكيف مع مستجدات الحياة.

وفي المحصلة، إن اللعب هو التجريب الأول للهوية. ويمكن القول إن الشخص طالما بقي في عمر اللعب فإن هويته تبقى قابلة للتشكل وللتعديل وصولاً إلى مرحلة النضوج حيث يقل اللعب وتأخذ الهوية شكلها الثابت نسبياً. ولكن إذا كان اللعب يؤمن الليونة والمرونة والتغير للهوية إلا أنه يمكننا أن نفترض بالمقابل أن تجربة اللعب تساعد كذلك على إعطاء صلابة نفسية تدريجية تواكب وتتوازى مع الليونة والتغير في الهوية. فمن وظائف اللعب الأساسية، في كل أنواعه وفي كل مراحله، هو تنفيس الصراعات والمآزم التي يعيشها الأطفال في بدايات حياتهم والتي يمكن أن تشكل خللاً في البناء الهوياتي. من هنا ليس من المغالاة القول إن الأطفال الذين أتيحت لهم فرص كافية للعب، فإن تعرضهم لأزمة هوية عميقة قد يكون أقل احتمالاً. ذلك أن اللعب خصوصاً مع أشخاص مغايرين يقدم احتمالات متعددة للتجريب ولعيش الاختلاف وقبوله.

رابعاً - اللعب والتثاقف:

في طريق التكيف، حيث تبنى الهوية بالتفاعل مع الآخرين، يتبدى التواصل مع الثقافات المغايرة، التي هي دائمة الوجود، لأن المجتمعات تتكون من ثقافات فرعية متعددة. والطفل يتواصل مع ثقافة المدرسة، وثقافة الجيرة، وثقافات أخرى سيلتقي بها حُكماً. ولكنَّ الباحثين يضعون كل هذه التجارب داخل المجتمع نفسه تحت عنوان التفاعل، ويتركون للتجارب مع المجتمعات المختلفة عنوان التثاقف.

1 – التثاقف:

يشير مفهوم التثاقف إلى التغيرات الثقافية والنفسية التي تحدث نتيجة احتكاك ممتد ما بين ثقافتين مختلفتين. وتاريخياً تم النظر إلى عملية التثاقف باعتبارها تجري بحسب اتجاه خطي، حيث يتعرض القادمون الجدد والأقليات إلى عملية تخلٍ عن هوياتهم الثقافية التقليدية وقيمهم وعاداتهم وخصائصهم، ليجري امتصاصهم أو استيعابهم ضم الثقافة الأساسية للجماعة المضيفة المسيطرة. ولكن هذا التوجه تحول اليوم نحو النظر في التبادل الثقافي ما بين الفئتين المضيفة واللاجئة. فالملاحظ أن الثقافة الأساسية تتأثر هي بذاتها بوفادة ثقافة مختلفة إليها، مثلما تتأثر بالطبع الجماعة الوافدة بثقافة المجتمع الجديد الذي تعيش فيه. وفي نقطة وسيطة على هذا المسار، يمكن أن يوصف الأفراد على أنهم مزدوجو الثقافة، تتداخل فيهم ثقافتان (Fung, 2012). والتحدي الأكبر الذي يواجه الأفراد في هذا المجال (أي التكيف لدى الأطفال والاندماج لدى الكبار) يكمن في الحفاظ على الثقافة السابقة بالتناغم مع الانفتاح والتأقلم مع ثقافة جديدة.

يرسم سلمان أختر(Akhtar, 2011) في كتابة حول الهجرة والتثاقف لوحة كاملة للتغير الذي يحدث لدى الفرد المهاجر، فبرأيه إن التغير لا يطال الهوية الفردية فحسب وإنما أيضاً كل مجال تفاعل الشخص مع المحيط البشري والمادي أيضاً. تؤثر الهجرة في العمل وفي الزواج وفي الصداقة وفي الجنس، بل تؤثر حتى في الأدوار الجندرية، وفي تربية الأطفال ونمو الشخصية لدى الأجيال المقبلة ولها آثار عميقة حتى على البنية النفسية للمهاجر وتعبيراتها العيادية.

2 – دور اللعب في التثاقف:

وفي عودة إلى دور اللعب في مجال التثاقف لدى الأطفال، نرى أن المدخل الممكن في هذا المجال هو التفاعل الذي يهيئه اللعب مع الأقران. فهؤلاء يشكلون واحداً من ثلاثة أعمدة للتنشئة داخل الثقافة الأصلية. يشكل الأهل العامود الأول ومن خلالهم يتم النقل الثقافي عامودياً، ويشكل الأقران العامود الثاني وبواسطتهم يتم النقل الثقافي أفقياً، أما العامود الثالث فيضم كل البالغين الآخرين وعبرهم يتم النقل الثقافي بشكل مائل. أما في بيئة مزدوجة الثقافة فينبغي إضافة البالغين والأقران من الثقافة الأخرى (Sabatier, 1991).

الفصل الثاني
أوضاع الأطفال اللاجئين السوريين في لبنان

مقدمة:

إن الأرقام التي تعطيها المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (مهاجر نيوز، نشر بتاريخ: 2021/03/16) حول أعداد اللاجئين السوريين تقدم فكرة حول حجم الكارثة التي يعيش فيها اللاجئون السوريون في المنطقة. فهنالك أكثر من 5.5 مليون لاجئ سوري يعيشون في المنطقة، ومئات الآلاف غيرهم منتشرون في 130 دولة. وهي تشير إلى أن 70 % من هؤلاء اللاجئين يعيشون في فقر مدقع، دون الحصول على الغذاء والماء والخدمات الأساسية، وإن أكثر الأفراد ضعفاً هم الأطفال والمراهقون، و45 % من اللاجئين تقل أعمارهم عن 18 عاماً، ومن بين هؤلاء يوجد 1.6 مليون من الأطفال اللاجئين دون سن العاشرة.

وفي لبنان تحديداً، هناك أكثر من مليون لاجئ سوري مسجل لدى «المفوّضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين». وتقدّر الحكومة أن عدد السوريين الفعلي في البلاد هو 1.5 مليون. ويبلغ عدد الأطفال، بحسب هيومان رايتس واتش، في سن الالتحاق بالمدرسة 631 ألفاً، يلتحق أقل من نصفهم بالمدرسة أي 210 آلاف في المدارس الرسمية المدعومة من المانحين، و63 ألفاً في المدارس الخاصة (Human Rights Watch, 2018).

يعاني هؤلاء الأطفال من أشكال التهميش التي تجعل وصولهم إلى أبسط الحقوق كالصحة والتعليم فيه مشقّة كبيرة، فعلى سبيل المثال

كل 4 بين 5 أطفال عاملين في لبنان هم من السوريين، فيما تشير أرقام المنظمات غير الحكومية إلى 22 % من الفتيات القاصرات بين مجتمع اللاجئين السوريين في لبنان متزوجات ولأسباب اقتصادية.

ويصعب على السوريين اللاجئين في لبنان المحافظة على الصفة القانونية، ما يعرضهم لتزايد خطر الاستغلال والإساءة، ويحّد من قدرة اللاجئين على الوصول إلى العمل والتعليم والرعاية الصحية. إن 74 بالمائة من السوريين في لبنان ليس لديهم إقامة شرعية، ويواجهون خطر الاعتقال بسبب وجودهم غير الشرعي في البلاد. ولكن فيما بعد، ألغى لبنان بعض القيود المفروضة على الإقامة للأطفال السوريين اللاجئين الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و18 سنة (Human Rights Watch, n.d).

أولاً - صعوبات التكيف ما بين المجتمَعَيْن اللاجئ والمضيف:

ثمة مسألة العنصرية في المجتمع اللبناني إزاء من هم ليسوا لبنانيين، أي لا يحملون الجنسية اللبنانية، خصوصاً لدى اللاجئين. ولكن العنصرية لا تنحصر بهؤلاء فثمة تمييز، قد يقترب من العنصرية، بين فئات المجتمع نفسه، في طوائفه وفي طبقاته. هناك من يشعر بأنه لبناني أكثر من غيره، وبالتالي يحق له التكبُّر والاستعلاء. وهذه الترسيمة نجدها في مجتمعات حديثة ومتقدمة، وفي تكتلات جماعية متنوعة. مثال أهل العواصم الذين يشعرون بنوع من التميز لكونهم كانوا من المواليد الأوائل في تلك المدن. وهنا يمكن للمرء أن يرى أن الخيط الفاصل بين الشعور بالتميز والاستعلاء وبين العنصرية يكون ضئيلاً أحياناً إلى درجة الامحاء. وفي كل الأحوال فإن الصعوبات التي يعاني منها الأطفال اللاجئون السوريون إلى لبنان

عديدة ومتشعبة، ولا يمكن فصلها عن معاش أسرهم، نستعرضها في ما يأتي:

1 - صعوبات بنيوية:

إن قضية اللجوء في لبنان ليست جديدة. وهنالك تاريخ من التعامل مع اللاجئين. واختلف التعامل بحسب الظروف وبحسب جنسية اللاجئين. وكانت قضية اللجوء الفلسطيني أهم قضاياه. وعلى الرغم من مرور عشرات السنين، إلا أنه ما زال يطرح الكثير من الجدال والاعتراض والشكاوي. وبقي اللاجئون الفلسطينيون حتى اليوم غير قادرين على الشعور بالاستقرار أو الأمان، وجاء اللجوء السوري ليثير بدوره إشكالات عديدة سياسية واجتماعية. وبدون الدخول في المسائل السياسية، يمكن القول بأنه جرت الأمور بحيث يبقى اللاجئ السوري غير قادر على الشعور بالاستقرار وبالأمان. وكأن في خلفية السياسة المتبعة هنالك هدف جعل اللاجئ السوري متأهباً دوماً للمغادرة.

وليس أدل على ذلك من المؤشرات التي تعطيها المواقع التابعة لأوضاع اللاجئين السوريين حول الأوضاع المعيشية الصعبة التي يعيشها هؤلاء في لبنان. فمن الأزمة الاقتصادية الخانقة التي يعيشها البلد، إلى الأزمة السياسية التي عكست نفسها على كافة مفاصل الحياة فيه، إلى الانفجار الكارثي الذي أتى على مرفأ مدينة بيروت وراح ضحيته المئات بين قتلى وجرحى، يعيش اللاجئون والمهاجرون في ذلك البلد بعدم استقرار دائم، جعلهم ينظرون إلى مستقبلهم بريبة ويضعون كافة الإجراءات المفترض أنها مخصصة لخدمتهم في دائرة الشك (دويتشيه فيله، 2021).

2 – صعوبات اجتماعية:

تعطي الدراسات حول اللجوء السوري في لبنان العديد من المؤشرات التي تنبئ بمنع، أو على الأقل بعدم تيسير، إحساس اللاجئين السوريين بالأمان في لبنان. يبين الشرباتي ونمور (2015) في دراستهما حول هذا الموضوع أن الأكثرية من السوريين المستطلعين لا يحملون أوراقاً قانونية ويعود السبب الرئيسي إلى ضرورة وجود كفيل لبناني وارتفاع تكلفة الرسوم، وهم يعتقدون أن الأوراق القانونية تؤثر في أمنهم. ويورد المؤلفان أرقاماً تظهر أن العديد منهم لا يشعر بالأمان لا في بيروت ولا في المناطق الأخرى. ومن المؤشرات المعبّرة حصول حالات اعتداء على شخص أو عائلة تم تحميل مسؤوليتها إلى معتدين لبنانيين، وأن اللاجئين السوريين لم يقوموا بأي شيء حيال ذلك. ولكن في نسخة ثانية من هذه الدراسة، أجريت لاحقاً في شهر آب/ يوليو 2016 وانصبت على متابعة التغييرات وتحديد التوجهات وتقييم التطور المسجل على مستوى التصورات حول الأمن في لبنان، يشير فريق البحث إلى تحسن عام وظهور بوادر تدل على صمود اللاجئين السوريين وقدرتهم على التكيف، وذلك من ناحية الحصول على فرص العمل والوصول إلى الخدمات، في حين ما زالت هناك بعض نقاط الضعف فيما يتعلق بالأمن والتنقل والاعتداءات، ويزيد الأمر سوءاً افتقارهم إلى الأوراق الثبوتية/المستندات القانونية.

وفي معلومات حديثة يتبين في تقرير صادر عن مفوضية شؤون اللاجئين في لبنان أن 61 % من النساء اللاجئات السوريات و46 % من الرجال اللاجئين السوريين خسروا أعمالهم منذ نصف آذار/مارس الماضي و7 % من العائلات السورية ترسل أطفالها للعمل، نتيجة لفقدان عمل

ذويهم (وصول، ACHR 2020). كذلك تجسدت هذه السياسة الضمنية القائمة على عدم إدماج اللاجئين السوريين بسهولة في المجتمع اللبناني، في الجانب القضائي الذي لا يعتمد سياسة الحماية للأطفال أنفسهم. علماً بأن هذه الحماية هي من مترتبات اتفاقية حقوق الطفل، التي وقع عليها لبنان بدون تحفظ. وتنص على حماية الأطفال الموجودين على الأرض اللبنانية. درست نور الدين (Noureddine, 2015) موضوع حماية الأطفال السوريين اللاجئين في لبنان، وتوصلت إلى أن اتفاقية حقوق الطفل (CRC) غير مطبقة ليس فقط على الأطفال اللاجئين السوريين وإنما أيضاً على الأطفال اللبنانيين أنفسهم، ذلك أن الحد الأدنى لسن المسؤولية الجنائية لا يزال منخفضًا للغاية. ويتم احتجاز الأطفال اللبنانيين والسوريين في السجون لفترات قد تتجاوز السنة والسنة والنصف، وهو إجراء يتعارض مع أحكام اتفاقية حقوق الطفل. وعلاوة على ذلك، توصلت الدراسة إلى أنه قبل إجراء المحاكمات وأثناء التحقيقات يتم وضع جميع الأطفال في سجون البالغين إلى أن يتم إصدار قرار القاضي، كما أن الأعداد الحقيقية للأطفال السوريين في السجون اللبنانية ما زالت مجهولة. لكن ما أكدته الدراسة أنه مقابل كل حالة لبنانية واحدة في السجون، هناك 10 قضايا لسوريين. إلى ذلك وجدت الدراسة أنه من غير الواضح ما إذا كان الأحداث السوريون يتم ترحيلهم إلى سوريا مع أن ثمة إشارات لحدوث هذا الأمر.

3 – صعوبات تعليمية:

على صعيد التعليم، لم تتمكن وزارة التربية من استيعاب الأطفال اللاجئين السوريين على الرغم من التمويل الذي قُدم إلى الدولة اللبنانية

من أجل هذه الغاية. فما زال العدد الأكبر من الأطفال غير قادرين على الحصول على التعليم. وفي الأرقام يتبين أن العدد المُسجل من التلاميذ غير اللبنانيين هو 213 ألفاً غالبيتهم العظمى من السوريين، يتوزعون على دوامين: نهاري بحسب القدرة الاستيعابية للمدارس، ومسائي. 155 ألفاً من بينهم هم في دوام بعد الظهر، أكثر من 99 % منهم من السوريين (زين الدين، 2019).

إن معظم الأطفال اللاجئين السوريين يتابعون تعليمهم في بيئة خاصة بهم ومنفصلة عن الأطفال اللبنانيين. هذا الأمر بذاته يؤسس إلى أن لكل فئة عالمها، ولا يجري السعي إلى التفاعل ومعرفة الآخر من أجل قبوله. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فمن المعلوم أن بقاء العديد من الأطفال خارج المدرسة وحرمان الأطفال السوريين من التعليم يدعو للقلق. فالتعليم كما هو معلوم لا تقتصر فوائده على تنمية القدرات المعرفية أو على التنشئة الاجتماعية، فهو يحمل فوائد اقتصادية طويلة الأجل، والمجتمعات النامية ذات الدخل المرتفع يكون أفرادها في الواقع من ذوي التعليم العالي. وبالتالي يمكن للمرء أن يتوقع الآثار الخطيرة للحرمان من التعليم على جيل كامل من اللاجئين السوريين وعلى أنماط مهنهم المستقبلية ومستوى مداخيلهم. وتؤكد المديرة العامة لليونسكو أودري أزولاي، أن تجاهل تعليم المهاجرين يلحق «الخسائر بالجميع. فالتعليم هو العامل الرئيسي في تحقيق الاندماج والتلاحم. وإن زيادة التنوع في القاعات الدراسية، بالرغم من أنها تضع المعلمين أمام مزيد من التحديات، تسهم في التحفيز على احترام التنوع، وتقدم فرصة للتعلم من الآخرين. التعليم هو أفضل السبل لجعل المجتمعات أقوى وأكثر مرونة وقدرة على الصمود في وجه الظروف» (اليونسكو، 2018).

وربما تكون المخاطر أكثر مما يمكن تفاديه لاحقاً ليس فقط على الأشخاص أنفسهم وإنما أيضاً على مستقبل مجتمعاتهم، خصوصاً إذا ما فكرنا بالآثار السياسية لمثل هذا الحرمان من حيث انجذاب الأفراد غير المتعلمين إلى جماعات متطرفة تعوّض عليهم الشعور بالدونية الناجم عن الحرمان من التعليم. سيعتمد مستقبل الأطفال السوريين الشخصي واستقرار المنطقة وازدهارها على الحرص على توفير التعليم الذي يحتاج إليه الأطفال في سن الدراسة ليتحلوا بالمرونة وبالقدرة على التكيف مع الظروف التي تواجههم ولإعالة أنفسهم وعائلاتهم. كما أن غياب بيئة تعليمية توفر الحماية وتطوير مهارات التفكير النقدي والفرص التي يتيحها التعليم قد يجعل الشباب أكثر عرضة للانتماء إلى جماعات متطرفة (كالبرتسون كونستانت، 2015).

أما في المشاكل الداخلية للعملية التعليمية نفسها، فتبرز مشكلة تعلم اللغات الأجنبية ووقوفها حجر عثرة أمام نجاح التلاميذ السوريين. وتبين كوجانيان (Koujanian, 2016) أن مثل هذه المشاكل التعليمية تتصاحب في الواقع مع صعوبات اجتماعية ونفسية. وما يزيد من حدة هذه المشاكل النفسية هو عدم وجود المتخصصين بالدعم النفسي دائماً في المدارس للتعامل مع مثل هذه القضايا.

والتعليم في كل الأحوال ليس معرفة ومعلومات، وإنما بناء حياة ونظرة إلى المستقبل. فلقد بيّن استطلاع حول التعليم لدى الأطفال السوريين اللاجئين في لبنان أن الذين يواجهون مشاكل أمنية هم ممن لا يذهبون إلى المدرسة (الشرباتي ولحود ونمور، 2016)، كما أظهر أن هناك ترابطاً قوياً بين عدم الذهاب إلى المدرسة والعمل، وأن رفض زواج

الأطفال هو أعلى بين الفتيات (13-18) عاماً اللواتي يذهبن إلى المدرسة، وأن الذين يذهبون إلى المدرسة هم أكثر سعادة في لبنان من الذين لا يذهبون.

وتتبدى الحسرة لدى أهالي الأطفال الذين لا يدرون ماذا يفعلون وكيف يتعاملون مع الوضع. في مقابلة أجرتها يارا وهبي مع أم عمار، وهي أم نازحة من حلب تقول: «يقول ابني إن حلمه هو أن يصبح مدرساً، لا أعلم من أين أتى بهذا الحلم، فهو لا يستطيع لا القراءة ولا الكتابة، وأنا أمية لا أستطيع تعليمه» (وهبي، 2015).

4 - صعوبات تتعلق بالسكن:

في تقرير للمفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بعنوان «الأطفال الذين يعيشون مطولاً في المخيمات» يصف أوضاع هؤلاء الأطفال بالقول إنهم يجدون حرية حركتهم محدودة، يعيشون ويكبرون في حالة من التبعية للمساعدة والرعاية المقدمة لهم، يعيشون في ظروف حقيرة، وليس من شيء مهم يقومون به (UNHCR, 1987). هذا عدا عن تغير وضعية الأهل وانشغالاتهم اليومية، وهو ما يبلبل الأولاد، ويحرمهم من نماذج الأدوار التي اعتادوا عليها، إضافة إلى الشعور بالإحباط والضيق الذي يراود الأسرة بسبب الإقامة الطويلة في المخيم، وفي بعض الحالات استحالة قبولهم لإعادة الإقامة يمكن أن ينعكس عليهم. إن الإقامة المطوّلة في المخيم تسبب أحياناً سلوكيات متطرفة لدى الأولاد الذين يصبحون إما سلبيين وخاضعين، وإما عدائيين وعنيفين. وقد سُجلت حالات من الأعمال التخريبية والسرقات لدى هؤلاء الأولاد. كما أنهم يواجهون أحياناً مشاكل خطيرة من التكيف لدى تركهم الخيم. ويخلص

التقرير إلى أن من أبرز حاجات الأطفال اللاجئين: الطعام، والصحة، والتعليم، والنشاطات الدينية والثقافية والترفيهية.

ليست الإقامة في المخيم هي فقط ما تولّد مآزم لدى الأسر. فالعيش في غرف ضيقة كما هو الحال عند الكثير من الأسر التي يعمل الرجال فيها كنواطير في البنايات، يسبب هو أيضاً مشكلات قد تزيد عن الإقامة في المخيم بحسب ما تنقله الأمهات اللاجئات السوريات في دراسة أجريت حول تحديات الأمومة بينت أنهن يشعرن بالضيق نتيجة العزلة التي تمارسها عليهن جاراتهن اللبنانيات وعدم وجود إمكانية للتواصل مع الخارج. إن نساء البناية اللبنانيات، كما يأتي على لسانهن، «يمررن بجانبنا وفي معظم الأحيان لا يلقين السلام»، وتنم أجوبتهن عن إنهن عاجزات عن تحمل ضجيج الأطفال، في حين أن المخيم، وعلى الرغم من المساحة الضيقة التي تعيش داخلها النساء، فإن غياب الجدران العازلة عن الخارج، والشعور بأن هذا الخارج أليف ويمكن أن يكون سنداً لهن، يحرّر قرارهن ويخفف عنهن عبء الشعور بالضغط (حطيط والقادري، 2019).

على أي حال ومهما كان شكل السكن الذي أقام فيه الأطفال السوريون فإن الصعوبة تبدو ملازمة لإقامتهم، فلقد «نتج عن فقدان العمل وزيادة الأسعار، زيادة ملحوظة في حالات الإخلاء الفردية والجماعية أو التهديد بالإخلاء من المساكن الخاصة بهم، إن كان في المخيمات أو المنازل الإسمنتية. وأيضًا فقد سببت جميع تلك الأوضاع، ضغوطًا كبيرة على اللاجئين مما دفع أعداداً كبيرة منهم (على عدة دفعات ولاتزال) الاتجاه نحو العودة إلى سوريا دون الاكتراث لإغلاق

الحدود بين البلدين مما جعلهم يمكثون قرابة خمسة أيام إلى عدة أسابيع في ظروف قاسية، بين الحدود اللبنانية - السورية، بسبب منع السلطات السورية استقبال أي من القادمين من لبنان، خوفًا من تزايد انتشار وباء كوفيد - 19» (وصول، ACHR, 2020).

5 - صعوبات نفسية:

تبين دراسة أجريت على أطفال مهاجرين أن لديهم نوعاً من «الهشاشة النفسية». ومع الإشارة إلى أن وجودهم ما بين ثقافتين، يمكن أن يفتح أمامهم احتمالات ديناميكية وخلاّقة، ولكنه كذلك يمكن أن يرمي بثقله على نموهم النفسي حين يكون عنوان هذا الوجود هو الانقسام والكبح (Martin, 2015). أي أنه يشكل في حالات معينة انفتاحاً على الآخرين وعلى العالم، من خلال تعلم لغة أخرى واكتساب كفايات جديدة ومفيدة، بينما في حالات أخرى، يبدو هذا الوجود بين ثقافتين مثيراً للبلبلة ومصدراً للقلق ولنوع من الهشاشة الخاصة لدى الأطفال المهجرين. وينطبق هذا الأمر على الأسر اللاجئة التي قد تتسم وضعيتها بمسارات صادمة، تسبب لدى الأطفال حالة توتر ما بعد الصدمة، واضطرابات قلق، وعوارض اكتئاب، واضطرابات تعلق وإلى ما هنالك من تعبيرات عيادية. ويكفي أن نسمع أصوات الأمهات لندرك صعوبة الوضع «نعمل هنا كفلاحات لدى صاحب الأرض اللبناني ساعات طويلة مقابل ١٠ دولار، لا وقت لدينا للعناية بالأطفال، بل على العكس، كثيراً ما نطلب منهم المساعدة في أوقات الحصاد. لا هم يعيشون كالأطفال الذين في عمرهم، ولا نحن نعيش كالنساء» (وهبي، 2015).

ويشكل الخوف من المحيط سبباً هاماً يجعل الأسر تميل إلى

الضغط على الأطفال وإجبارهم على البقاء داخل مساحة ضيقة وتخفيف احتمال إقامة علاقات واسعة مع أطفال من خارج بيئتهم. وفي دراسة حول الأمهات أفادت غالبية المستطلعات «أنهن لا يدعن أولادهن يخرجون وحدهم من المخيم بسبب الخوف من المحيط ومن المخاطر، لاسيما الخطف، ومن الانحراف» (حطيط، والقادري، 2019). كما أن البعض منهن لا يسمحن لأولادهن باللعب مع الآخرين، و«ذلك انطلاقاً من خوفهن من تعرضهم للأذى أو للمخاطر أو الاستغلال، ومعاشرة رفاق السوء». وبشكل عام تلاحظ الباحثتان «أن هاجس النظافة بدا ظاهراً في اهتمامات الأم، لا بل احتل المرتبة الأولى في الواجبات التي يحرصن على القيام بها. إن الخوف من الخارج يبدو مَرَضياً وكأنه بيئة ملوثة. يحتاج الأطفال إلى التطهر منها بالحث على النظافة» (حطيط والقادري، 2019).

فإذا كانت هذه هي أنواع المخاوف التي تعتمل في صدور الأمهات تجاه البيئة الخارجية، فيمكن أن نتوقع تأثير مثل هذه المواقف على الأطفال، حتى ولو افترضنا أن الأمهات لن يقلنها مباشرة لأطفالهن. ذلك أن مخاوف الأهل في العادة يجري تسريبها لدى الأطفال فتأخذ إما شكل القلق (مخاوف غير محددة) أو شكل المواقف المتجنبة أو النابذة. ونذكر ذلك للإشارة إلى أن بعض المواقف العدائية المتكونة لدى اللاجئين (صغاراً أو كباراً) قد تكون متولّدة عن مواقف لا واعية يحملونها وتمنعهم من التفاعل مع الأطفال الآخرين. ويمكن أن تحال الأسباب، في آلية إسقاطية، على الآخرين.

6 – صعوبات ثقافية:

بشكل عام، هنالك الكثير من القواسم المشتركة بين المجتمَعَيْن اللبناني والسوري، لغة وعادات وتاريخ وطعام وفنون. ومع ذلك، وبسبب اختلاف التركيب الاجتماعي والسياسي فإن وتيرة الانفتاح على العالم الغربي وسهولة اكتساب عادات جديدة وشدة تنوع المجتمع اللبناني في مساحة صغيرة، تجعل التجربة اللبنانية مختلفة عن التجربة السورية من الناحية الثقافية. وهذا ما يجعل بعض الأسر السورية حذرة من الاندماج في الحياة اللبنانية. وأشارت بعض الدراسات إلى وجود مثل هذه المآزم خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالفتيات. فتبين أنّ مستقبل الفتيات السوريات متأثر بشكل كبير بمخاوف الحماية الجديدة، لا سيما وأنهن يتعرضن لمجتمع غير مألوف وأكثر ليبرالية في لبنان (DeJong et al., 2017). تقول إحدى الأمهات في دراسة حول تحديات الأمومة «شفت بنات لبنانيات أكثر من أمهات. بشوفهن عادي. مثل البنات السوريات. يبينّ أجسامهن كذلك مثل البنات السوريات. بس السوريات ليس كمقدار ما تفعله اللبنانيات. ما عنا هالقد ظلط. كل السوريين يقولون إنّ اللبنانيين يكشفون من أجسامهم أكثر. بس كل واحد حر بحاله. أنا أقول حرام ليش بتعمل هيك. بتتكشف» (حطيط والقادري، 2019).

أما من ناحية التقاليد والعادات فثمة إدراك واضح بأهميتها من قبل اللاجئين السوريين أنفسهم. إذ تكشف الدراسة الأخيرة نفسها (حطيط، والقادري، 2019) حول سؤال عن نوع الأحاديث التي تجريها الأمهات مع أطفالهن، «أن أغلبيتهن يجرين أحاديث بشكل دائم أو متقطع مع أبنائهن. وهذه الأحاديث تتعلق، بحسب أقوالهن، أولاً بمستقبل الأولاد

وتعليمهم، وما يحصل في وطنهم، وبخصوص أفراد العائلة، والعادات والتقاليد والشعائر الدينية، والفرق بين العادات السورية والعادات اللبنانية وإلى ما هنالك». ويبدو أن الأمهات يضعن نصب أعينهن عدم تغرّب أطفالهن، فيشدّدن على الارتباط بكل ما يعتبرنه أساسياً في ثقافة الأسرة الأصلية وبالأخص منها العادات والتقاليد. وفي سعيهن هذا يبرزن بشكل مقصود الفارق بين الثقافتين تسهيلاً على الأطفال التمييز واختيار الجانب الذي يعتبرنه أصيلاً.

ثانياً - عوامل مؤثرة في تجربة اللجوء:

ليست تجارب اللجوء متشابهة في كل الظروف. إنها تختلف بحسب البلدان وبحسب الزمن الذي تجري فيه. إن تجربة اللجوء السوري إلى لبنان لا تشبه تجربة اللجوء الفلسطيني أو الأرمني، فهي تجربة أحدث في الزمن، وجرت بعد خبرة تعايش، بالمعنيين السلبي والإيجابي، تحصلت لدى المجتمع اللبناني. بالإضافة إلى ذلك فإن الظروف التي حصلت فيها، بعد علاقات سياسية مضطربة بين البلدين اللبناني والسوري لا بد أن تترك أثرها على كيفية الاستقبال والتلقي، ويمكن القول إجمالاً أنها تمت تحت غطاء من الحذر، واتسمت بالنسبة لقسم واسع من اللبنانيين بنوع من السلبية. هذا الواقع سوف يلقي بظله على مجمل العلاقات الناشئة بين المجتمعين المضيف واللاجئ، ويصعّب عملية الاندماج أمام اللاجئين.

هذا على الصعيد الماكرو، والذي يتعلق أكثر بشروط الاستقبال للاجئين. ولكن ثمة اعتبارات يجب أن تؤخذ في الحسبان أيضاً على صعيد الميكرو (الأسر والأشخاص) وتتعلق بظروف اللاجئين أنفسهم. فيتكلم

أختر (Akhtar, 1995) عن عدد من العوامل التي تؤثر في مدى تكيف الأشخاص اللاجئين وهي:

أ - دوافع اللجوء إن كانت مؤقتة أو دائمة.

ب - التهجير إذا تم قسراً أو إرادياً: وهذا الأمر يتعلق بالأهل لأن أختر يشير إلى أن الأطفال عادة لا يختارون، وبالتالي فهجرتهم أقرب ما تكون إلى النفي.

ج - إمكانية زيارة البلد الأصلي.

د - العمر عند التهجير: ويلاحظ على وجه العموم أن الأطفال الأصغر سناً هم أكثر تكيفاً من الأكبر سناً. ولكن هنا ينبغي الإشارة إلى أن هذا الأمر يتعلق أيضاً بكيفية عيش الأهل، خصوصاً الأمهات، للتهجير. وأيضاً ثمة مراحل زمنية تبدو أكثر حساسية تجاه التهجير (مثل المرحلة الأوديبية ومرحلة المراهقة).

هـ - أسباب اللجوء: وإذا ما كانت هروباً من وضع صعب أم هي تطلع إلى تحسين الفرص في الحياة.

و - الوضع النفسي السابق على التهجير: وحسب درجة التوازن النفسي التي كان اللاجئ عليها قبل التهجير.

ز - كيفية استقبال هؤلاء اللاجئين: تبعاً لما إذا كانت البيئة الجديدة مرحبة أو بالعكس كانت عدوانية وأظهرت انفعالات كره ونفور تجاه اللاجئ.

ح - التباعد الثقافي ما بين المجتمع الأصلي والمجتمع الجديد:

وتنضوي في هذا التباعد الأساليب التربوية السائدة في المجتمع الأصلي وتعارضها مع الأساليب الجديدة.

ط – مستوى استطاعة اللاجئ الحفاظ على موقعه الاجتماعي بعد اللجوء.

كل هذه العوامل التي يعددها سلمان أختر، من شأنها أن تصعّب أو تسهّل عملية التكيف. وهي تشير إلى أن تجربة اللجوء بقدر ما هي تجربة عامة، ولكن تشتمل في الوقت عينه على اعتبارات خاصة ومتعلقة بتجربة كل فرد لاجئ يجب أخذها بالاعتبار، وخصوصاً لجهة الوضع السابق على الوصول إلى البلد المضيف. قد يكون الوضع الأصلي صعباً، كأن يحمل الطفل اللاجئ معه آثار حالة تفكك أسري أو وضع معيشي صعب، وبالتالي فإن شروط تجربة اللجوء تضاف إلى شروط الصعوبة الأصلية. كما أن السبب الذي يدفع إلى اللجوء يختلف ما بين أسرة وأخرى. فليس كل لاجئ مسؤول عن أسرة هو هارب من أوضاع صعبة، وإنما قد يكون باحثاً عن وضع أفضل ليس إلا. ويمكن للمرء أن يتوقع أن ظروف اللجوء ستكون أهون بالنسبة إليه من ذلك الهارب والمهجّر قسراً.

ويستوقفنا عامل التباعد الثقافي في لائحة العوامل المذكورة أعلاه. هذا العامل كان يمكن لنا أن نحذفه من بين العوامل التي تميز حركة اللجوء السوري إلى لبنان، بسبب اشتراك العديد من العناصر ما بين البلدين. ولكن يبقى أن اختلاف التجربة السياسية والاجتماعية ما بين البلدين، تجعلنا نفترض اختلاف شروط العيش وعدم تطابق سلم القيم ما بين المجتمعين، خصوصاً لجهة انفتاح المجتمع اللبناني على الثقافة

الغربية بشكل أوسع مما هو الحال في المجتمع السوري، يضاف إلى ذلك اختلاف التجربة السياسية بين البلدين.

إن انخراط اللاجئ في ثقافة جديدة ونظام اجتماعي واقتصادي جديد، يفرض عليه أن يعيد تشكيل نظامه السلوكي للتكيف مع هذا التغيير. ونستعيد هنا مفهوم التثاقف، الذي يساعدنا على دراسة وفهم مسار التكيف الذي يحدث عندما يقيم المهاجرون أو اللاجئون في بلد مضيف ذي ثقافة مختلفة تكون في معظم الأحيان هي الثقافة المسيطرة والسائدة وتتسم بالقوة الاجتماعية.

لقد أجريت دراسة حول التجربة الكندية بشأن تأثير عملية التثاقف لدى المهاجرين (Mayhew, 2018) بالاستناد إلى نموذج بيري (Berry) الذي يشير إلى أربعة أنماط للتثاقف:

* الاستيعاب: حيث يتم التخلي عن الثقافة الأصلية لصالح الثقافة الجديدة.
* الاندماج: حيث يتم الحفاظ على جزء من الثقافة الأصلية مع تبني الثقافة الجديدة.
* الانفصال والتقوقع: يتم الحفاظ على الثقافة الأصلية وتُرفض الثقافة الجديدة.
* التهميش: يتم التخلي عن كلتا الثقافتين الأصلية والجديدة.

ويتبين من تلك الدراسة أن النمط الثاني من التثاقف أي ذلك الذي يقوم على الاندماج هو الأكثر ملاءمة لكونه يترافق مع مستويات من التوتر أكثر انخفاضاً ومستويات توظيف أعلى عند الكبار، كما يترافق

مع نسب أقل للتصرفات الخطرة ومواقف أكثر إيجابية تجاه العاملين الصحيين من لدن الصغار وينمّ عن نتائج فضلى نفسية واجتماعية لدى الصغار. ومن هنا يبدو بوضوح أن القدرة على الاندماج هي مؤشر جيد حول التوازن النفسي والاجتماعي للأفراد. وتتأثر هذه القدرة عند الأطفال الصغار بطبيعة تجربة الاندماج التي عاشها الأهل، فكلما كانت انجح لدى هؤلاء كلما كانت تجربة التكيف لدى الأبناء أقل صعوبة. ومن الأمور التي تشكل تحديات في عملية التكيف عموماً يجري ذكر اللغة والعمل والدخل وأدوار الجنسين والمناخ والمدرسة والمعايير الاجتماعية والشعور بالأمان وحماية الطفولة والسكن والعنصرية.

وقد تتشابه تجربة لجوء السوريين إلى لبنان مع تجربة اللجوء في العالم في مختلف هذه النواحي ما عدا ناحيتي اللغة والمناخ بما أن الاختلاف من هذين الجانبين ما بين الثقافتين الأصلية والجديدة غير ذي أهمية (اللغة هي نفسها وإن تغيرت اللهجة، والمناخ هو نفسه تقريباً بسبب تجاور البلدين). ويمكن للمرء أيضاً أن يجادل فيما يتعلق بالمعايير الاجتماعية ومدى تباعدها بين البلدين. إذ تتشرب الثقافتان السورية واللبنانية الأصول الثقافية والاجتماعية نفسها بسبب كونهما لفترة طويلة جزءاً من نفس المنظومة الاجتماعية التي جرى تفكيكها لاحقاً بعد اتفاقية سايكس بيكو. كما أن قرب المسافة وتواصل الحدود الجغرافية (أو وهنها) يجعل الثقافتين شديدتي القرب من بعضهما البعض. غير أن تقسيم المنطقة وخلق الدولتين السورية واللبنانية ودخول كل منهما في مسار سياسي واجتماعي مختلف، انعكس على الثقافة السياسية السائدة في كل منهما خصوصاً وأن التركيبة الاجتماعية كما جرى التوافق عليها تختلف بين البلدين. فلقد نحا لبنان

باتجاه الغرب في حين بقيت سوريا متشبثة أكثر بأصولها القومية. وتباعدت من جرّاء ذلك الشخصيتان السورية واللبنانية كل واحدة في اتجاه. علماً بأن الفرق ليس في السياسة فقط، فلقد حدثت تطورات اجتماعية متباينة قوية بين البلدين خلال 75 سنة، بعد الاستقلال.

إذن وعلى الرغم مما تظهره الدراسات من أن تجربة التثاقف القائمة على الاندماج هي الأفضل على الصعيد النفسي للأفراد، ولا سيما الأطفال منهم. وحتى مع الأخذ بالاعتبار أن شروط التقارب بين المجتمعين اللبناني والسوري قد تكون من أكثر الشروط ملاءمة للاندماج، إلا إن ما يحول دون هذا الأمر في تجربة اللجوء السوري في لبنان هو قرار سياسي اجتماعي، يقوم على عدم إعطاء اللاجئين السوريين (كالفلسطينيين) وضعية قانونية ثابتة، ونفهم في هذا السياق ما بينته الدراسات أعلاه حول عدم حيازة هؤلاء اللاجئين على أوراق ثبوتية بشكل هيّن.

واستنتاجاً، وبما أن تجربة اللجوء السوري في لبنان ليست متجهة نحو الاندماج، وبدرجة أولى ليست متجهة نحو الاستيعاب الذي هو أشد صعوبة، فإن ما يتبقى لدى اللاجئين السوريين في لبنان، هما نمط الانفصال والتقوقع أو نمط التهميش. والنمطان يشيران إلى صعوبة التكيف لدى الأطفال. فكيف تتمثل هذه الصعوبة في حياة الأطفال؟

الفصل الثالث
الأطفال اللاجئون السوريون واللعب

مقدمة:

إن واقع الأطفال اللاجئين السوريين في لبنان هو مأزوم بطبيعته. فهم يعيشون في وضع اقتصادي واجتماعي وسياسي غير ملائم. وكما ذكرنا في الفصل السابق، لا شك بأن المعاناة التي يعيشها الأهل تنعكس في معاش أطفالهم، إضافة إلى ما يعانيه هؤلاء على أرض الواقع نفسه.

ولما كان اللعب هو من الوسائط الأساسية التي يلجأ إليها الأطفال لتفريغ المكبوت وللتواصل فيما بينهم وللتفاعل مع الآخرين، وهو الطريقة التي من خلالها يطرح فيها الأطفال مشكلاتهم ويسعون إلى إيجاد حل لها. ولأن اللعب مساحة مفتوحة، ويصعب السيطرة عليها، إنه مثل الماء قادر على الوصول إلى الأطفال من أصغر المنافذ. وحيث إن اللعب يوفر للأطفال اللاجئين وظيفة تكيفية، لأنه من جهة يساعدهم على تفريغ المشاعر السلبية، ومن جهة أخرى يهيئهم إلى تعلم أدوارهم الجديدة وإلى الخوض في مسار النضج وفق مقدراتهم الذاتية، لذا فإنه من الطبيعي أن تنبئ أنماط اللعب التي يمارسها هؤلاء الأطفال عن المصاعب التي يعيشونها، كما عن اتجاهات عملية التكيف لديهم، وطبيعة العلاقات التي تم إرساؤها بينهم وبين المحيط.

من هنا انبرت هذه الدراسة للإجابة على سؤال مركزي هو التالي: كيف تتبدى مظاهر التكيف لدى الأطفال اللاجئين؟ وعلى أسئلة فرعية هي: إلى أي مدى يشعرون بأنهم جزء من المجتمع اللبناني، أو بالعكس يعزلون أنفسهم ضمن ثقافة مستمدة من مجتمع أهلهم الأصلي؟ ما

هي إشارات التكيف لديهم؟ هل تغيرت لهجتهم مثلاً؟ كيف هي علاقتهم بالأطفال اللبنانيين؟

وجواباً على هذه الأسئلة، اعتمدنا المنهج النوعي، والذي يقوم على الملاحظة والمقابلة، ولكن بسبب صعوبة الحصول على المعلومات الكافية، قمنا بالاستعانة أيضاً باستطلاع مبني على استمارة من أجل جمع معلومات إضافية خصوصاً بسبب صعوبة الوصول إلى الأطفال في وقت تفشي وباء الكورونا. وكانت الأدوات المستخدمة تقوم على:

* مراقبة لعب الأطفال، والتسجيل (إما بالكاميرا أو إذا تعذر الأمر بالتسجيل الحرفي المباشر على الورقة) للحوارات التي يجرونها وأشكال اللعب التي يقومون بها. توزع هؤلاء في أربع مجموعات أطفال تعيش في بيوت مستأجرة في منطقة الكورة تمت مشاهدتهم أثناء اللعب.

* استطلاع مواقف عينة من الأطفال (43 طفلاً) حول سلوكيات اللعب لديهم مبني على استمارة جرى تعبئتها من قبل المستجوِبة. وتوزعت جغرافياً كما يأتي: بيروت (24 يسكنون في بيوت في أطراف بيروت وحي السلم) والبقاع (19 يسكنون في المخيم).

* إجراء مقابلات مع أسر (أبوين وأم وطفلين) يعيشون في بيوت مستأجرة في منطقة الكورة.

وبنتيجة العمل الميداني وتحليل المعطيات التي تجمعت لدينا، استوقفنا عدد من المسائل التي نراها هامة في تفسير نمط التكيف الذي يعيشه الأطفال اللاجئون في لبنان. ونشير هنا إلى أننا ننطلق من رؤيتنا

إلى أن التكيف أمر جار وليس مدعاة للتساؤل. إذ طالما كان الأطفال يلعبون، فإن آليات التكيف لديهم هي في حالة اشتغال. وكما أسلفنا، يعتبر اللعب من المؤشرات الأساسية على قدرة الأطفال على تخطي المآزم والصعوبات التي يعيشونها.

أولا - معطيات الاستطلاع:

1 - ملامح الأطفال:

أ- نمط السكن: توزع أطفال الدراسة على ثلاث مناطق جغرافية تضم إما مخيمات للاجئين (البقاع)، أو منطقة سكنية مفتوحة في أطراف بيروت وفي حي السلم. ولفهم الأثر الذي يتركه نمط السكن نقدم لمحة عامة عن هذه المناطق الجغرافية.

البقاع:

تستقبل منطقة البقاع حوالي 40 % من اللاجئين السوريين أي النسبة الأكبر في لبنان، إذ يتوزعون فيها على أكثر من 1000 مخيم ويسكن عدد قليل منهم بين الأحياء. وكانت مناطق البقاع من أولى المناطق التي نزح إليها السوريون مع نهاية العام 2011 واندلاع الحرب في سوريا.

تضم مخيمات البقاع سوريين من عدة مناطق، بسبب محاذاتها للحدود السورية، وتعكس العلاقات الاجتماعية والتشابك العائلي والاقتصادي الموجود تاريخياً، حيث يتحدر معظم اللاجئين فيها من مناطق ذات اقتصاد زراعي في سوريا، وهذا ما يعطيهم فرصاً لإيجاد عمل في مجال يبرعون فيه. وتضم منطقة البقاع في لبنان «آلاف اللاجئين

السوريين 55 % منهم نساء تتراوح أعمارهن بين الـ18 عامًا وما فوق، والنساء اللواتي فقدن أزواجهن في الحرب يعانين كثيرًا من أجل تأمين لقمة العيش لأطفالهن ويحملن عبء إعالة أسرهن لتلبية أصغر الاحتياجات في ظروف عمل صعبة ومهينة، ومع قلّة فرص العمل المتوافرة والمقابل المادي الزهيد تكون ساعات العمل طويلة وفي بيئة غير آمنة كالمصانع والورشات الموجودة داخل أقبية، مع تعرضهن لمواقف عنصرية متكررة» (الدالاتي، 2019).

بيروت:

هنالك أكثر من 200.000 لاجئ يعيشون حسب وكالة إغاثة اللاجئين في بيروت وحدها (شفايكله، 2020). من هؤلاء من كانوا موسرين يستأجرون مساكن لائقة ويتعلم أبناؤهم في المدارس التي يرتادها اللبنانيون. ومنهم من يعيش على أطراف المدينة في أحياء فقيرة مثل منطقة الشياح وعين الرمانة والنبعة. والكثير من هؤلاء يعيشون في ظروف صعبة، يسكنون مع عائلاتهم في بيوت صغيرة ضيقة، والكثير منهم يعملون كنواطير بنايات أو في أعمال حرفية بسيطة.

وتعطي منطقة النبعة مثالاً عن كيفية عيش اللاجئين السوريين في أطراف بيروت. إذ «يشكل» السوريون اليوم أغلبية سكان النبعة. يعيش السوريون واللبنانيون في النبعة ظروفاً حياتية معدمة على مختلف الصعد. لكن رواية السكان اللبنانيين، رغم مآزق الحي التاريخية، تميل إلى تحميل السوريين مسؤولية ما يحصل لهم، في استئجار البيوت، كما في خسارة الوظائف (حبيش، 2016).

حي السُلُّم:

منطقة حي السلم واحدة من المناطق الأكثر تهميشاً في لبنان. وهي تعاني من اهتراء البنى التحتية كما أن أغلبية شوارع حي السلّم ضيّقة وجميعها بدون أرصفة ومليئة بالحفر الكبيرة على مدار السنة. وتتفاوت الأرقام المتعلقة بعدد سكان حي السلم بسبب غياب أية دراسة إحصائية تعطي أرقاماً دقيقة عن هذه المسألة، فقد راوحت التقديرات لدى البعض بين 120 و150 ألف نسمة، لتصل لدى البعض الآخر إلى 250 ألف نسمة... أكثر من 98 في المئة من سكان التجمّع من الجنسية اللبنانية. تتكوّن غالبية مجتمع حي السلم من الشباب الذين تراوح أعمارهم ما بين 16 و35 سنة. كما يقدّر حجم الأسرة ما بين 5 إلى 6 أشخاص كمعدّل وسطي للأسرة الواحدة (مملكة الفقر المهملة، 2007).

هذا هو المجال الذي يعيش فيه الأطفال الذين التقينا بهم. وهي مناطق كلها تتسم بالفقر، وإن كان بعضها أحسن حالاً نسبياً من بعضها الآخر. ولا شك بأن الأسر التي تسكن في بيوت ويقوم الأهل بتأمين معيشتهم من الجهد الذي يقومون به، هم أفضل حالاً من أولئك الذين ينتظرون الإعانات ويتعرضون للمذلة. وهذا ينعكس على وضع الأطفال أنفسهم. فالذين يشاهدون أهلهم يعملون ويجتهدون سوف تعطيهم هذه الصورة دفعاً لتحقيق الذات وبناء هوية متصالحة مع أنفسهم، دون أن نغفل أيضاً كيف يدرك الأهل أنفسهم واقعهم وكيف ينقلونه إلى أطفالهم.

ب – التوزع الجندري: توزعت عينة الأطفال بين 19 فتاة و24 صبياً. والملاحظ بحسب المستجوِبة التي قابلت الأطفال، وهي تعمل في إطار

شؤون اللاجئين وعلى تماس مباشر معهم، أن الفتيات ضمن مجتمع اللاجئين يتواصلن بشكل عام مع المحيط الخارجي بشكل أقل، ويتصفن بالخجل وعدم الشعور بالراحة للحديث مع الغرباء حول مشاعرهم وخصوصاً في حضور الأهل. يضاف إلى ذلك عامل العمر، فموضوع اللعب يصبح خارج سياق الحياة التي تُعَدّ لها الفتيات اللاجئات في مخيمات اللاجئين بحسب الملاحظة الميدانية، ولكن على الرغم من ذلك كان هناك فتيات تشجعن وقمن بالإجابة عن أسئلة الاستطلاع.

بعض الفتيات في المخيم استغربن الموضوع المطروح، وأكدن أنهن لم يعدن صغيرات للتحدث عن اللعب، قالت إحداهن: «أنا حالياً في عمر 14 سنة لم أعد ألعب أو أفكر بذلك، فحتى لو أردت ذلك لا أستطيع، سيقولون عني أشياء غير جيّدة». وهذا الجواب جدير بالتوقف عنده، إذ يشير إلى أن سن اللعب الذي يعتبر سن الطفولة، يتوقف لدى الفتيات عند سن ال14. وهو ما يلتقي مع الممارسات الشائعة لدى الأوساط التقليدية التي توافق على تزويج الفتيات في هذا العمر. وهنالك الكثير من حالات الطفلات في هذه العمر ضحايا التزويج المبكر التي تتكلم عنها وسائل الإعلام «مريم (اسم مستعار) إحدى ضحايا الزواج المبكر، دخلت القفص الذهبي بعمر 14 عاماً، تقف الآن على أطلال ما فات من سنين عمرها، مستذكرةً أيام لعبها مع صديقاتها قبل أن تكون زوجة أو أماً» (المناصير، 2016).

بالمقابل لم يقل أي من الذكور إنهم لا يلعبون. ويميل المرء للتفكير أن حقهم باللعب يبقى محفوظاً طالما هم لم يدخلوا إلى سوق العمل. وهنالك ألعاب تناسب أعمارهم حتى ولو كبروا. إذن يبقى الصبي يمارس

حياته وفق هواه ورغباته لعمر أطول مما تمارسه البنت. وربما من هنا ذلك الاعتبار الشائع في مجتمعنا بأن الفتيات أنضج من الصبيان، الذي يمكن فهمه بوصفه «سمة اجتماعية»، أكثر منها بيولوجية، وله وظيفة محددة.

إن الأسباب التي تدفع الأهل للخوف على البنات متعددة، أهمها التحرش والاعتداء ما يدفع الآباء للتفكير بتزويج بناتهم في أسرع وقت ممكن، يأخذ هذا الزواج في أغلب الأحيان شكلًا عنيفاً؛ إذ يجبر الآباء بعض الفتيات على الزواج وترك المدرسة، وفي مقابلة قامت بها بلان إنترناشيونال مع عدد من الفتيات قالت إحداهن وتبلغ من العمر 13 عاماً: «بعض الفتيات أولياء أمورهن يجبرونهن على ترك المدرسة للزواج، وصديقاتي جميعهن تزوجن والآن لديهن أطفال» (الدالاتي، 2019).

ج - مستوى التعليم: هناك من بين الأطفال الذين جرت مقابلتهم، اثنا عشر طفلاً وطفلة (من أصل 43) أفادوا أنهم لا يذهبون إلى المدرسة نهائياً، وإنما يتابعون أحياناً بعض الأنشطة التعليمية مع الجمعيات التي تعمل في المخيم. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الإجابات التي تفيد أن الأطفال يذهبون إلى المدرسة في المخيم قد تكون غير دقيقة، حيث إن بعض الأطفال يعتبرون أنشطة محو الأميّة التي يتابعونها مع الجمعيات مدرسة أو يخجلون من الإقرار بأنهم لا يذهبون.

وفي ظل تفشي جائحة كوفيد - 19، أفاد بعض الأطفال الذين قالوا إنهم يتعلمون، أن عائلاتهم ستوقفهم عن الدرس بسبب الوضع الاقتصادي وبسبب «أنهم لا يتعلمون شيئاً مفيداً عن بُعد» بحسب تعبيرهم. والتعليم

عن بُعد أصبح مطروحاً كقضية تتعلق بالعدالة الاجتماعية عموما حتى ولو «واصلت بعض المنظمات غير الحكومية عملها من خلال التعليم عبر الإنترنت، ولكن هذا ينطوي على العديد من المشكلات: أولاً، لا يمتلك جميع أولياء الأمور والأطفال هواتف محمولة.... فيما تتمثل العقبة الثانية في عدم توفّر المال... لشحن هواتفهم المحمولة ودفع ثمن خدمة الإنترنت. ثالثًا، ليس من السهل على الطفل البقاء لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات على الهاتف- لأنه بحاجة إلى الكهرباء (بهاتي، 2020).

د – العمر: تراوحت أعمار الأطفال الذين جرت مقابلتهم بين عمر 7 و14، لأن الأصغر سناً لم يستجيبوا، وذلك لعدم قدرتهم على التعبير حول أفكارهم وشعورهم بالخجل والانزعاج من الأسئلة. وكما يتبيّن من الملاحظة الميدانية، عقب الأحاديث الجانبية مع الأطفال لسؤالهم حول رأيهم للمشاركة في الاستبانة، وتحديداً الأطفال الذين يعيشون في المخيمات، أنهم غير معتادين على إبداء رأيهم والتواصل الشفهي بشكل كبير خارج سياق التواصل بخصوص التعبير عن حاجاتهم الأساسية مع الأهل. فالأهل بأنفسهم كانوا يقولون عند استئذانهم للحديث مع أطفالهم عبارات مثل: «هذا الولد صغير لا يفهم تحدثي مع أخيه» أو «ابنتي لا تجيد التحدث كثيراً» و«ابني لسانه ثقيل ويخجل من الغرباء».

وبالإجمال، يلاحظ أن أطفال المخيم الذين قبلوا التحدث، كان لديهم بشكل عام تحفظ على الكلام، وكانوا يستخدمون عدداً محدوداً من الكلمات، وعند الطلب إليهم بالتوسع حول الموضوع يجيبون بأنهم لا يمتلكون إجابات إضافية. ويبدو أن هذا الأمر شائع لدى الأطفال

اللاجئين، فهؤلاء قد ينمو لديهم الحذر من القادمين من الخارج، بغرض التعرف إليهم.

هذه هي الصورة العامة للأطفال الذين تمت مقابلتهم. إنهم يعيشون في أوساط فقيرة، ولا يميلون للتكلم مع الغرباء، وقد يبدو لديهم نوع من صعوبة التعبير عن أنفسهم، يتأتى إما من الحذر والتجنب وإما من الخجل.

2 – ممارسات اللعب:

أ – مدة اللعب:

معظم أفراد العينة (ذكور وإناث) في منطقة بيروت (9 من أصل 11) يقضون بين ساعتين و4 ساعات في اللعب يومياً، وذلك لأنهم جميعاً يذهبون إلى المدرسة ويتابعون أنشطة إضافية مع بعض المنظمات الإنسانية. أما في المخيم فإن معظم أفراد العيّنة في المخيم يقضون جلّ وقتهم في اللعب ما عدا من هم إناث وفوق الـ13 عاماً. هناك 14 من أصل 19 يقضون معظم الوقت في اللعب حولهم إلا في حال وجود نشاط مع الجمعيات. وفي حي السلم يقضي معظم أفراد العيّنة في هذه المنطقة (ذكور وإناث) أكثر من 4 ساعات في اللعب يومياً، وخصوصاً في ظل تفشي جائحة كوفيد – 19 وتحول المدارس لنظام التعليم عن بُعد بحسب قولهم.

وبشكل عام يمكن القول بأن إمكانية اللعب لدى الأطفال هي كافية ومتسعة. ومع أن هذا الأمر قد يشير إلى ضعف الالتحاق المدرسي، إلا أنه من جانب نفسي يمكن القول بأن الأطفال لديهم مساحة للتعبير ولتفريغ شحنات الطاقة لديهم.

ب - أنواع اللَعب:

كل أفراد العيّنة الذكور في أطراف بيروت ذكروا كرة القدم على أنها لعبتهم المفضلة إلى جانب مجموعة من الألعاب كالسكوتر والألعاب الإلكترونية تحديداً لعبة PubG، كما تحدث بعضهم عن نشاطات رياضية كانوا يمارسونها قبل كوفيد- 19 مثل كرة السلة والتنس والكاراتيه والدراجة الهوائية. كما سمّى أحدهم لعبة المكعبات الليغو كلعبة محببة له، وتحدث آخر حول لعبة سباق السيارات الصغيرة. اللافت للنظر أن طفلاً واحداً فقط تحدث عن اللعب على الهاتف الخليوي ومشاهدة اليوتيوب.

بالمقابل وفي المنطقة عينها، لم يكن هناك اتفاق بالإجابات بين أفراد العيّنة الإناث كما هو الحال مع الذكور، وتنوعت الألعاب المفضلة بين (اليوتيوب، تطبيقات الأزياء الخاصة بلعبة باربي على الهاتف، ألعاب وتطبيقات على الهاتف، مكعبات الليغو، الغميضة اللقيطة). إحدى المشاركات قالت إنها تحب اللعب في الشارع غميضة مع صديقاتها ولكن أهل الحي يصرخون عليهم ولا يحبون أن يلعب الأطفال في شارعهم.

أما أطفال المخيم، فكانت معظم الألعاب التي تحدثوا عنها ذكوراً وإناثا هي ألعاب حركية وتتضمن مجهوداً جسدياً، وهذا طبيعي نظراً لنمط الحياة في المخيم: الزحليطة، النط بالحبلة، الغميضة، الدحل (أي اللعب بالأحجار أو الكلل)، كرة القدم، المصارعة، الركض، تسلق الأشجار والأرجوحة التي قامت إحدى الجمعيات بتركيبها مؤخراً. وهناك لعبة «الآغا» أو «جلاد- حرامي» أيضاً التي ذكر عدد من أفراد العيّنة أنهم يحبونها، إضافة إلى لعبة طاولة الزهر التي ذكرها احد المشاركين. لم

يذكر أي من المشاركين من المخيم ألعاباً إلكترونية وذلك بسبب عدم توافر أجهزة الكمبيوتر عندهم، فيما ذكرت مشاركة إنها تحب الرسم كنشاط مفضّل ولكن لا يتوافر لديها أدوات بشكل دائم لممارسة ذلك.

وفي حي السلم قال معظم أفراد العينة الذكور إن كرة القدم هي نشاطهم ولعبتهم المفضلة إلى جانب ألعاب أخرى، مثل الألعاب الإلكترونية PubG والغميضة. فيما قالت المشاركات الإناث أنهن يفضلن القفز على الحبل «أحب النط على الحبل لأنه يشعرني وكأنني أطير» (رقيه 11 سنة) وبيت بيوت ومشاركة واحدة فقط ذكرت لعبة الباربي.

ومن المعلوم أن اللعب في هذا العمر يكون متركزاً أكثر على الهوايات مما هو على الألعاب المصنوعة من قبيل أنواع الرياضة واللعب الإلكتروني، والألعاب الجماعية والموسيقا والدراجات وأدوات التزحلق والتسكع والمشاوير. ونلاحظ أن أطفال العينة لا يشذون عن هذه القاعدة، فمعظم الألعاب التي ذكروها كانت في فئة الألعاب الجماعية، خصوصاً لدى الذكور، وذلك بسبب السماح لهم بالخروج. ويمكن أن نفكر بأن ضيق المساحة الداخلية التي يعيشون فيها لا تسمح لهم بممارسة أنشطة فردية، إضافة إلى غياب الأدوات اللازمة للعب الفردي. البنات تبرز لديهن بعض الاهتمامات الفردية، مثل الرسم والاهتمام بلعبة باربي.

إلى ذلك، فإن الألعاب بمجملها جسدية حركية، وفيها خروج عن إطار البيت، وتتطلب التفاعل مع الأطفال الآخرين. ويلاحظ انتشار الألعاب الإلكترونية التي تشكل متنفساً للأطفال الذين يحتاجون في هذا العمر إلى التفاعل مع الآخرين، فيلبوا حاجتهم تلك بدون أن يضطروا

للتواصل المباشر مع الآخرين، أي أنها تحقق هدف التفاعل الاجتماعي ولكن من غير احتكاك.

وبالمقارنة بين أمكنة الإقامة، يلاحظ أن الفتيات يلعبن بحرية أكبر داخل المخيم، حيث تزيد إشاراتهن للعب الجماعي الحركي الخارجي. ويبدو أن المخيم باعتباره مكاناً مسيجاً يتيح للفتيات حرية أكبر من تلك المساحات المفتوحة، والتي تخرج عن رقابة المحيط ويمكن أن تتيح فرصاً للاختلاط مع أفراد من خارج البيئة المحلية.

ولقد قمنا بجردة لأنواع اللعب التي يمارسها أطفال العينة:

العاب الصبيان	العاب الفتيات
كرة القدم	الرسم
لعبة الدحل (الكلة)	الزحلوقة
اللقيطة	النط على الحبلة
الارجوحة	الغميضة
التسلق على الشجرة	بيت بيوت
الغميضة	لعبة الآغا
الرسم	لعبة عالي واطي
المصارعة الحرة والملاكمة	اللعب بالمكعبات
طاولة الزهر	لعبة جلاد حرامي
الركض والسباق	كرة القدم
PubG	الركض
كرة السلة	العاب الكترونية على الهاتف الخليوي
العاب الكترونية على الهاتف الخليوي	كرة المضرب (التنس)
السكوتر- الدراجة	اللعب بالدمى (باربي)
الكاراتيه والعاب المنافسة	فتحي يا وردة
اللعب بالسيارات الصغيرة	
اللعب بالمكعبات (ليغو)	
البلياردو	
لعبة الكراسي	
بيت بيوت	
لعبة ثلج ومي	

تشير القائمة أعلاه إلى عدة ملاحظات. أولاً تنوع الألعاب، فمنها ما هي ألعاب حركية، ومنها ألعاب كمبيوتر، ومنها ألعاب اجتماعية. ويتشارك الصبيان والبنات في العديد من الألعاب، غير أن ألعاب الفتيات تبدو أقل تنوعاً من ألعاب الصبيان، ويغلب عليها طابع اللعب الجماعي.

ج - رفاق اللعب:

في الأحياء على أطراف بيروت كل أفراد العيّنة أكدوا أنهم يلعبون مع إخوتهم وأقاربهم بشكل أساسي، وبعضهم يلعب أحياناً مع أقرانه في الحي، سوريين ولبنانيين، ولكن مع السوريين بشكل أكبر، وذلك يرجع إلى أنّ الأطفال اللبنانيين بحسب تعبير بعض الأطفال «لا يلعبون بالشارع بل يقضون الوقت على جهاز الكمبيوتر».

أما في المخيم فإن أفراد العيّنة قالوا إنهم يلعبون بشكل أساسي مع أقربائهم وأصدقائهم في المخيم، فيما ذكر بعضهم أنهم يلعبون أيضاً مع أصدقائهم بالمدرسة، وهم أيضاً سوريون ضمن الدوام المسائي، ما عدا مشاركة واحدة قالت إن لديها أصدقاء لبنانيين يأتون للعب معها ويزورون عائلتها. ومشارك آخر قال: إنه جرب مرة اللعب مع اللبنانيين ووجد أنهم أهدأ في اللعب، ولا يلعبون ألعاباً عنيفة. «نحن لا نحب اللعب مع اللبنانيين لأنهم يتنمرون علينا بشكل كبير».

وعند الاستيضاح ذكر عدد من الأطفال أنهم لا يلعبون مع أقرانهم اللبنانيين لسببين أولاً لأنهم يعيشون بشكل منفصل أصلاً أو لأن بعضهم يشعر أن اللبنانيين لا يحبون اللعب مع الأطفال السوريين بحسب تعبيرهم. «لا أعرف لماذا لا يحبون اللعب معنا، مع أننا نحضر دروس القرآن سوياً ونعيش في نفس المنطقة».

أما في حي السلم، فقال معظم أفراد العينة الذكور إنهم يلعبون مع رفاقهم بالحي سوريين ولبنانيين، ومع إخوتهم في المنزل أيضاً. ولم تتحدث هذه المجموعة عن وجود مشكلات لعب مع لبنانيين في الأحياء التي يقطنون فيها بشكل عام، ما عدا مشاركيْن قالا إنهما لا يلعبان مع الأطفال اللبنانيين لأنهم يسخرون منهما ويرفضونهما.

وبشكل عام، تشير أجوبة الأطفال السوريين إلى أنهم يعيشون في نوع من عدم الاختلاط، حيث إن احتكاكهم مع أطفال غير سوريين يبدو قليلاً. وتختلف نسبة التخالط بحسب أماكن العيش. إذ يبدو الأطفال الذين يعيشون في حي فقير ويشبه المنشأ الاجتماعي الذي أتوا منه مثل حي السلم، لديهم فرصة أكبر للتفاعل مع أطفال آخرين، في حين أن أطفال المخيم فرصهم أقل بكثير، ذلك أن فكرة الانتماء إلى مخيم تجعلهم خاضعين لوصمة اجتماعية، وتؤدي إلى إقامة حواجز بينهم وبين من هم خارج المخيم، وتصعب في هذه الحالة عملية التثاقف. فالتباعد كما يشرحونه ناتج عن «هدوء» الأطفال اللبنانيين و«مسالمتهم» وعدم رغبتهم بالاختلاط . أما في أطراف بيروت فتتبدى أيضاً من أجوبة الأطفال صعوبة حصول عملية التثاقف ذلك أن الأطفال اللبنانيين لا يلعبون في الشارع وتقل مناسبات الاختلاط مع الأطفال الآخرين.

تفيد العديد من أجوبة الأطفال عن صعوبة التواصل مع الأطفال اللبنانيين، وأحياناً دون شرح للسبب. ولكن إذا كانت بعض الأجوبة تحيل السبب إلى الآخر أي الأطفال اللبنانيين مثال: «لا ألعب مع اللبنانيين، لأنهم يطردوننا ولا يريدون اللعب معنا» أو «لا ألعب إلا مع رفاقي السوريين لأن اللبنانيين لا يحبوننا وكأننا أعداؤهم»، أو «لا نستطيع التحدث

معهم، لا يحبون ذلك، ولا يحبون اللعب معنا»، وأحياناً يبدو هذا الآخر عدائياً بوضوح من قبيل «اللبنانيون يكرهوننا. وهذا واضح»، فإننا لن نعدم بالمقابل أجوبة تحيل السبب إلى الأطفال السوريين أنفسهم، فيقول أحدهم مثلاً «لا أتفق مع الأولاد اللبنانيين» ويقول آخر «ألعب مع الرفاق السوريين لأني أعرفهم أكثر وأشعر بالسعادة حولهم أكثر»، وأخرى تقول: «ألعب مع صديقاتي السوريات فقط»، أو «لا ألعب مع أولاد لبنانيين في العادة». كما أننا نجد بعض الأجوبة تحيل السبب إلى الطرفين معاً «لا أحب اللعب مع اللبنانيين وهم لا يحبون اللعب معنا».

	أسباب عند اللبنانيين	أسباب عند السوريين	أسباب مشتركة بين الطرفين	ألعب مع اللبنانيين	لا ألعب مع أحد
أطفال المخيم	6	11	2	-	-
أطراف بيروت	1	3	2	2	3
حي السلم	4	2	1	6	-

وعلى الرغم من صغر العينة فإنها تعطينا فكرة عموماً عن أسباب اختلاف اللعب في المساحات المسيجة (المخيم) وتلك المفتوحة (حي السلم) حيث يورد معظم أطفال المخيم سبب عدم اللعب مع أطفال لبنانيين إلى أنفسهم. إنهم لا يلعبون مع هؤلاء إما لأنه لا فرصة لديهم للتلاقي وهذا في أغلب الحالات، وإما لأنهم لا يشعرون بالارتياح معهم. بينما أكثرية أطفال المساحة المفتوحة تجد فرصة للعب مع الأطفال اللبنانيين، وشعورهم بالنبذ يبدو أقل.

د - اختلاف الألعاب في سوريا ولبنان:

عندما سألنا الأطفال عن الاختلاف الذي يجدونه في اللعب بين سوريا ولبنان، تنوعت أجوبتهم. ففي أطراف بيروت قال معظم أفراد العيّنة إنهم يعتقدون انه ليس هناك فرق بين الألعاب في سوريا ولبنان، وقال أحدهم إنه ربما في لبنان يعطون أسماء مختلفة لنفس الألعاب. فيما قالت إحدى المشاركات إنها لا تعرف حقاً إن كان هناك اختلاف لأنها لم تعش في سوريا إلا أشهراً قليلة.

أما في المخيم، فإن الجزء الأكبر من أفراد العينة ذكروا إن هناك فرقاً بين الألعاب في سوريا ولبنان ويعود ذلك بحسب رأيهم لعدة أسباب، أهمها وجود حدائق ومساحات عامة وغابات في سوريا بينما هي غير موجودة في لبنان، وهو ما يجعل اللعب في سوريا مشوقاً وأكثر إمتاعاً وحركة. كما ذكر بعض المشاركين أن الألعاب في سوريا أكثر تنوعاً بكثير، بينما هي في لبنان محدودة. فيما قال بعض المشاركين إنه ليس هناك اختلاف بل الألعاب نفسها في البلدين وعند سؤالهم كيف يعرفون ذلك، قالوا إن أهلهم أخبروهم بذلك.

وفي حي السلم حوالي نصف أفراد العينة (21 طفلاً) قالوا: إن الألعاب في سوريا أجمل وأكثر تنوعاً وتشويقاً، وخصوصاً بوجود الحدائق والمساحات المحيطة بكل منزل بحسب تعبير أحد المشاركين، فيما اعتبر أحد المشاركين أن هناك اختلافاً بالألعاب لصالح ألعاب اللبنانيين فحياتهم أفضل، ولديهم ألعاب كثيرة. النصف الآخر قال: إنه ليس هناك أي اختلاف بين الألعاب في سوريا ولبنان بحسب ما يعرفون.

يتأرجح الأطفال بين شعورين. الأول التأكيد على أفضلية مكانهم

الأصلي الجميل والذي يحتوي على «حدائق ومساحات عامة وغابات»، الأمر الذي يجعل اللعب (اقرأ الحياة) في سوريا أكثر إمتاعاً وحركة «ويوحي بالشعور بالضيق والانحباس حيث هم يعيشون الآن». والشعور الثاني هو «النقص» إذ لا يمتلكون ما يملكه اللبنانيون، أي «الحياة الأفضل». ويقف في الوسط عدد قليل من الأطفال الذين لا يشعرون بالاختلاف، ويبدون راضين بواقعهم ومتقبلين له.

هـ- الألعاب التي تعلموها في لبنان:

معظم أفراد العيّنة خارج المخيم الذين يقل عمرهم عن الثلاثة عشر عاماً تعلموا اللعب في لبنان نظراً لأن العدد الأكبر منهم ولد في لبنان أو جاء إلى لبنان في عمر صغير، ما عدا الذين تعلموا الألعاب السورية التقليدية من إخوتهم الأكبر سناً. ومن الألعاب التي ذكروا أنهم تعلموها في لبنان، اللعب المسرحي (نتيجة برامج تدخل المنظمات)، كرة المضرب، كرة القدم، كرة السلة، الألعاب الإلكترونية وال PlayStation واستخدام بعض الآلات الموسيقية في مراكز اجتماعية. وفي حي السلم تنوعت إجابات المشاركين فبعضهم ذكر البيلياردو والملاكمة ومكعبات الليغو والألعاب الرياضية، فيما قال آخرون إن أبرز ألعاب لبنانية تعلموها هي لعبة الـPUBG والألعاب الإلكترونية على PlayStation والتي يقصدون لأجلها مقاهي معينة. وفيما ذكر أحد المشاركين أنه تعلم لعبة الدولاب غير الموجودة في سوريا، قال مشاركان: إنهما لم يتعلما أشياء جديدة فهما يعرفان كل الألعاب من خلال اللعب مع إخوتهم الأكبر سناً.

أما في المخيم فقال معظم المشاركين: إنهم لم يتعلموا ألعاباً جديدة لبنانية، إنما تعلموا الألعاب السورية من إخوتهم وأقرانهم في المخيم،

بالإضافة إلى بعض الألعاب التربوية من خلال الأنشطة مع الجمعيات. إحدى المشاركات قالت: إنها تعلمت لعبة لبنانية اسمها عالي- واطي، فيما قال آخر إنه تعلم اللقيطة على الطريقة اللبنانية من أبناء صاحب العمل في الحقل.

الملاحظ أن الألعاب التي تعلمها الأطفال من وجودهم في لبنان هي إما ألعاب فردية، وتتطلب أدوات معينة، وإما ألعاب رياضية وتربوية بفضل تدخل الجمعيات التي تلجأ إلى استخدام اللعب من أجل الدعم أو من خلال وجودهم في المدرسة. ونادرة كانت الألعاب التي يجري تعلمها من خلال الاختلاط مع الآخرين. والعدد الأكبر حافظوا على الألعاب التقليدية في مجتمعهم الأصلي، وأخذوها من أسرهم.

و - الفرق بين اللعب مع رفاق سوريين أو لبنانيين:

في أطراف بيروت معظم الإجابات كانت أنه ليس هناك فرق بين اللعب مع رفاق سوريين أو لبنانيين، وقالت إحدى المشاركات: «ليس هناك فرق بيننا فنحن نتحدث نفس اللغة، ونلعب نفس الألعاب، ولا أشعر بالفرق حين ألعب مع لبنانيين»، فيما قال مشارك آخر: إنه يحب اللعب مع الأطفال اللبنانيين إلا أنهم يمانعون ذلك ولا يعرف لماذا، وقالت أخرى (9 سنوات): «ليس لديَّ أصدقاء لبنانيين ألعب معهم لأنهم لا يحبون اللعب معي ويسخرون مني». وأشارت إحدى المشاركات إلى أن الأطفال اللبنانيين غير مسموح لهم باللعب في الشارع، وجميع ألعابهم على الكمبيوتر، وهذا ما يجعل اللعب معهم يشعر الإنسان بالملل على حسب تعبيرها.

أما في حي السلم فقال العدد الأكبر من المشاركين إنهم لا يلمسون

فرقاً في اللعب مع الأطفال السوريين أو اللبنانيين. فيما ذكر آخرون أن الفارق يكمن بأن التفاهم مع أقرانهم السوريين أفضل بسبب اللهجة وبعض العادات المختلفة، وقال أحد المشاركين إنه يتعرض للضرب في كل مرة يلعب فيها مع أطفال لبنانيين. وذكر مشاركان في أجوبتهما أنه لا أحد من اللبنانيين يقبل اللعب معهما.

في المخيم معظم المشاركين قالوا إنهم لا يعرفون الفرق بشكل كبير ويعود ذلك إلى أنهم لا يلعبون عادة مع رفاق لبنانيين بسبب سكنهم بمكان منفصل أو بسبب عدم رغبة أولاد اللبنانيين في الأحياء القريبة لهم من اللعب معهم بكل الأحوال. وبعض المشاركين قالوا إنهم جربوا اللعب مع لبنانيين ولاحظوا أن اللبنانيين يلعبون بشكل هادئ وممل ولا يجيدون اللعب إنما يبرعون اكثر بالألعاب الإلكترونية يقول محمد (12 سنة) «نعم هناك اختلاف. فالألعاب في سوريا فيها عنف أكثر والأطفال السوريون يغضبون بسرعة... اللبنانيون طريقتهم في اللعب مختلفة فهم أهدأ وأقل عنفاً». ويقول جهاد (12 سنة) «الفارق هو اللهجة. واللبنانيون يمتلكون ألعاباً أكثر، ويجيدون اللعب على الكمبيوتر». فيما قالت إحدى المشاركات إنها تشعر بالخجل ولا تستطيع اللعب على راحتها مع اللبنانيين كي لا تزعجهم! وقالت أخرى (14 سنة) «السوريون يفهمون علينا. نفس الحكي والأفكار. أما اللبنانيون فلا يلعبون ألعابنا ولا يفهمون علينا». فيما قالت مشاركة إن هناك مشكلة بالتفاهم مع الأطفال اللبنانيين بسبب اللكنة وطريقة اللعب. فإن محمد (12سنة)- غير محمد المذكور آنفاً- يقول «نحن نعيش في نفس الظروف. ليس هنالك فرق. نحن نفهم على بعضنا لأننا نتحدث بنفس اللغة والعادات والألعاب».

يظهر شعور بالعزل بشكل واضح. فالأطفال السوريون إما أن يرغبوا باللعب مع اللبنانيين ولكن هؤلاء يرفضونهم. أو يجدون الأطفال اللبنانيين مملين بسبب فردانيتهم. وفي الحالتين فإن الأطفال السوريين وجدوا أو أقاموا ستاراً بينهم وبين الأطفال الآخرين، ورسموا عنهم صوراً قد تكون من نسخ خيالهم، من قبيل: مملون أو هادئون أو مبسوطون أو... إلخ.

ز - الأشياء المزعجة في الحي أو المدرسة:

تنم أجوبة الأطفال عن ضيق من المكان. روائح وفوضى وضجة وعنف وشعور بأنهم غير مرغوب بهم. والتعامل معهم بفوقية وإلقاء النعوت عليهم. كل ذلك يشعرهم بالعزلة وبعدم الاستقرار وبعدم الانتماء. في أطراف بيروت يذكر تسعة من أصل أحد عشر مشاركاً إن كل شيء على ما يرام وليس هناك شيء يضايقهم في الحي أو في المدرسة. أما المشاركان الآخران (9 و8 سنوات) فقال أحدهم إنه يتعرض للتنمر في المدرسة ويطلقون عليه لقب «سوري اندبوري» ويرفضون إشراكه بألعابهم أثناء وقت الاستراحة أو حصة الرياضة، وهو يشعر بالحزن ولا يعرف لماذا يفعلون ذلك. بينما قالت مشاركة أخرى إنها تتعرض للرفض والتنمر في المدرسة، حيث يصيح الأطفال بها «يا سورية يا سورية» ويسخرون من لكنتها ومن ثيابها ومن كل شيء، وهذا الأمر يشعرها بالحزن وهي أيضا عند سؤالها عن سبب سلوكهم قالت إنها لا تعرف لماذا وهي من جهتها تحب اللعب معهم ولا تشعر باختلاف عنهم. بالمقابل وجد نصف المشاركين في منطقة حي السلم مصدراً للإزعاج إما في العنف المنتشر في الأحياء التي يقطنونها من قبل باقي الأولاد سواء كانوا سوريين أو لبنانيين، أو في مضايقة الأطفال الآخرين لبعضهم

في المدرسة من خلال التنمر أو الضرب أو إطلاق النعوت، أو في «عدم استطاعتي الذهاب إلى المدرسة وهذا يحزنني فأنا أريد أن أدرس وأصبح معلمة إنكليزي»، أيضاً ذكر أحدهم بشاعة الحي والمباني والروائح المنبعثة عندهم في المبنى. كذلك الأمر في المخيم حيث كانت مصادر المضايقة والإزعاج كثيرة ومتنوعة، ففيما قال أحد المشاركين إن الروائح المنبعثة من المخيم والتلوث الضجيجي هو أكبر مشكلة، قال آخرون إن الضرب والعنف الذي يتعرضون له في المدرسة أو من قبل أقرانهم في المخيم هو أمر يجعل من حياتهم جحيماً. يقول أحدهم: «كل شيء يزعجني، العيشة في المخيم هل هي عيشة؟»، ويقول آخر: «السخرية منا ومن لون بشرتنا، في كثير من الأحيان نتعارك مع شبان من الأحياء المجاورة للمخيم ونقوم بضرب بعضنا، هذا الأمر مزعج». «أطوار كبار السن في المخيم تضايقني، لا يريدوننا أن نلعب يقومون بطردنا وليس لنا مساحات أخرى للعب»، ويقول أحد الأطفال إن هناك: «أصواتا في المحيط والضجة ولا نستطيع النوم لا ليلاً ولا نهاراً». وفيما يتحدث آخرون عن التنمر في المدرسة وإطلاق النعوت على الأطفال السوريين مثل «لاجئين» و«وسخين» و«ريحتك طالعة»، تقول مشاركة إن ما يزعجها هو أن الفتيات من عمرها من أبناء الحي المجاور للمخيم يرفضون التواصل معها، وهذا الأمر يحزنها. وأخيراً تحدث أحد الأطفال عن تنمر الأطفال السوريين الأكبر سناً على الأطفال السوريين الأصغر سناً في المدرسة أيضاً، فيما قالت إحدى المشاركات: إن ما يزعجها بالمدرسة هو كثرة الواجبات والكتابة. بالمقابل قال بعض الأطفال إنه لا شيء يزعجهم أبداً.[1]

(١) مع الأخذ بعين الاعتبار أن هؤلاء الأطفال تم تعبئة الاستمارة معهم بحضور الأهل، وقد يكون ذلك عاملاً مؤثراً.

وبشكل عام إن أجوبة الأطفال السوريين لا تنم عن شعور بأنهم ينتمون إلى المكان أو الثقافة التي هم يعيشون ضمنها. إنهم لاجئون، وهذه الصفة تلحق بهم وتدخل في رؤيتهم لأنفسهم، وترسم هويتهم. المكان يلفظهم، والثقافة تضعهم خارجها. يظهر الأطفال اللبنانيون في تصورات رفاقهم السوريين بوصفهم فرديين ومنعزلين وكأن ثمة سياجاً بينهم وبين الأطفال السوريين، فهم لا يلعبون في الخارج ويميلون إلى الألعاب الفردية وليس الجماعية. ولا يجد الأطفال السوريون منفذاً يدخلون منه إلى ثقافة المجتمع التي يعيشون فيه، مع أن الكثير منهم يعبر عن رغبته بذلك. وهذا الصد من قبل المحيط، يجعلهم منكفئين داخل أسرهم سجناء داخل التصورات التي تقدمها لهم عن مجتمعهم الأصلي. وتلتقي هذه التصورات مع ما لدى الأمهات السوريات اللاجئات اللواتي تبين في دراسة أخرى أن لديهن تصورات شبيهة «فيه ولاد لبنانيين بيصيروا يتمسخروا على السوريين. هيدول ولاد شو ذنبهم؟ من طريقة حكيهم بيعرفوا أنهم سوريون وهالطريقة بتزعج الولد» (حطيط والقادري 2019ـ ص. 88).

إنه عيش موقت لا يحيل إلى فكرة الاستقرار. يعيش اللاجئون كأنهم راحلون غداً إلى بلدهم الذي يرسمون له صورة زاهية، فهو متسع على عكس ضيق المكان الذي يعيشون فيه «في سوريا نلعب في ساحات كبيرة بينما هنا لا يوجد لا حديقة ولا غابة ولا برّية»، «في سوريا الألعاب أفضل لأن المساحة أكبر والمنازل كبيرة». وهنالك حدائق على عكس الروائح الكريهة حيث يسكنون «أعرف من إخوتي أن في سوريا حدائق» وهنالك غابات على عكس الجدران التي تعزل الأطفال اللبنانيين عنهم. هنالك يلعبون بحرية، وهنا يجدون من يطردهم من المكان. «الألعاب

في سوريا أحلى من الألعاب في لبنان، الكل يقول ذلك»، «اللعب في سوريا متنوع وهو أحلى»، «يقول أخي إن ألعاب سوريا أحلى وكثيرة». هناك هم سوريون مثلهم مثل الجميع وهنا يُنعتون بأنهم سوريون أي مختلفين وأقل مكانة. ويختصر حاتم (10 سنوات) الوضع بمجمله «أتضايق من كلمة لاجئ».

ولكن هل تختلف مشاعر النبذ بحسب الجندر؟ للجواب على هذا السؤال وزعنا أجوبة الجنسين بحسب منحاها وذلك بالاستناد إلى أجوبتهم على السؤال: «هل هناك أشياء تزعجك في الحي أو في المدرسة؟ اعط أمثلة» ووضعنا تحت خانة «تكيف» الأجوبة التي عبرت عن رضى أو على الأقل عدم انزعاج من وجودهم في لبنان مثل «لا شيء يزعجني. أحب مدرستي أحب العيش في لبنان» أو «لا شيء يزعجني» أو «لا أشعر بانزعاج من أي شيء، إلا السيارات المسرعة». ووضعنا تحت خانة «لا تكيف» الأجوبة التي عبرت عن ضيق مثل «في المدرسة ينادوني يا سورية أثناء الفرصة» أو «كل شيء يزعجني. العيشة في المخيم تزعجني. مرة قال لي أولاد لبنانيون إني بشع ورائحتي كريهة» أي بحسب مدى الضيق من الأطفال اللبنانيين ووجدنا ما يلي:

	الصبيان		البنات	
	تكيف	لا تكيف	تكيف	لا تكيف
أطراف بيروت	6	1	3	1
حي السلم	3	4	5	1
المخيم	1	9	1	8
المجموع	10	14	9	10

إذن بالإجمال لا يظهر أن ثمة فارقاً في عيش الأطفال بحسب جنسهم. وتميل كفة اللاتكيف عند الجنسين إلى الغلبة.

ثانياً - معطيات المقابلات مع الأسر:

ولكي نفهم الموضوع من زاوية أخرى أجرينا مقابلات مع أم وأبوين وابنة وابن من أسر سورية. يعيشون في منطقة الكورة في بيوت مستأجرة. ويبدو من الحديث معهم أنهم كانوا في سوريا ميسوري الحال.

* مقابلة مع أم: العائلة مؤلفة من أب وأم وثلاثة أطفال (علي 6 سنوات، فراس 4 سنوات، ودينا سنتين ونصف)، وهم يعيشون في لبنان (منطقة الكورة) منذ بداية الأزمة السورية.

تقول الأم: «نحن هنا لا نشعر بالغربة، إلا من الناحية الاقتصادية فنحن نسكن بالإيجار. أولادي لديهم رفاق من لبنان ومن سوريا. هم يأتون عندنا وأولادي يذهبون عندهم. إن العلاقات بينهم جيدة جداً. لا استقواء من واحد على الآخر. وعلى أي حال لا وجود للفرق ما بين الأولاد السوريين والأولاد اللبنانيين، سوى في بعض العادات. في لبنان يعطون أهمية كبيرة للطفل من حيث الدراسة. يقتلون أنفسهم من أجل تربية الأطفال وتعليمهم. وأنا أحب أن يكون لدى أولادي رفاق لبنانيون. حين يلعب أولادي مع الأولاد اللبنانيين يحكون مثلهم لهجة لبنانية (يجربون كل ما بوسعهم كي يحكوا مثلهم) ولكن حين يلعبون لوحدهم فإنهم يتكلمون باللهجة السورية. أولادي حين يلعبون مع بعضهم أحياناً يتقاتلون وأحياناً يتفقون، لكن لا يلجؤون إلى ضرب مؤذ. أما مع الأولاد اللبنانيين فليس هناك من أذى. الأولاد السوريون يحترمون الأولاد اللبنانيين».

يلخص حديث هذه الأم كل موضوع التكيف. تبدأ من جملة «نحن

لا نشعر بالغربة»، ومنها ينطلق المسار التكيفي. فتتسم لهجة الأم بالهدوء وبالقبول، صحيح أنها تعترف بوجود اختلاف، ولكن تؤكد على الجانب الإيجابي فيه. إن الأهل اللبنانيين، برأيها، يوظفون كثيراً في تعليم أولادهم، وهي تريد مثل ذلك لنفسها. ويكفيها ذلك لعدم الشعور بأي تمييز عدائي. لا بل إنها ترى علاقة أطفالها بالرفاق اللبنانيين أفضل من علاقتهم بالأطفال السوريين. بالمقابل فإن الأطفال على ما يبدو من حديث الأم يبذلون الجهد لتحسين علاقتهم باللبنانيين فيتكلمون بلهجتهم دليلاً على رغبتهم بالانتماء.

* مقابلة مع أب رقم 1: العائلة مؤلفة من أم وأب وصبيين (5 سنوات وسنة ونصف).

يقول الأب «نحن في لبنان ما تغير علينا شيء. فقط ابني الكبير لم يحصل على مقعد في المدرسة حتى الآن. ليس لدينا مشكلة مع اللبنانيين. بالعكس ابني عنده رفيق من لبنان يلعب وإياه. يعني لا مشكلة إذا كان لديه أصحاب من لبنان. في النهاية التربية هي المهمة إذا كان لبناني أو سوري».

أيضاً يشي حديث الأب بالتفهم، ومع أن لا مقعد دراسي لابنه، ولكن مع ذلك لا يعبر عن رفض الانخراط في المجتمع اللبناني، بل نراه يؤكد على أن ابنه لديه رفيق لعب لبناني بدون أي مشكلة.

* مقابلة مع أب رقم 2: العائلة مؤلفة من أم وأب وستة أولاد: الصبيان (14 سنة و13 سنة و11 سنة) والبنات (12 سنة و7 سنوات وسنتان ونصف) وتعيش في منطقة الكورة منذ بداية الأزمة السورية، في منزل مستأجر.

يقول الأب: «خلال وجود العائلة في لبنان تأثر الأولاد الذكور بالنسبة إلى موضوع الدراسة، حيث أن الصبي الذي يبلغ 14 سنة وأخوه الذي يبلغ 13 سنة تركا المدرسة. أحسوا بالتمييز ضدهم يعني ضد الأولاد السوريين. نحن لم نلاحظ تغيير أي شيء بأولادنا، ولكن حريتهم انحبست. نحن ما زلنا نحن. ولكن الجيران هنا في لبنان لا يريدون أن يسمعوا صوتاً. كان لدى أولادي أصحاب لبنانيون ولكن أنا قطعتها. بسبب طريقة التربية. لديهم حكي لم يعجبني. يعني وسخ. العلاقة بين الأولاد اللبنانيين والأولاد السوريين تكون حسب التربية. وإذا كان أولادي ليسوا على قدر الرفقة اللبنانية لا أسمح لهم بالدخول إلى بيتنا. التربية في لبنان مختلفة عن سورية. أصلاً الجيل الجديد مختلف عن القديم. أنا صراحة علاقتي قوية جيدة مع الجيل القديم من لبنان... ولكن يجب ألا يستقوي الأولاد اللبنانيون على الأولاد السوريين. بناتي لديهن رفاق لبنانيون في المدرسة. في المدرسة فقط. لا فرق لدي بين تربية الصبي وتربية البنت. البنت يظل الواحد يمون عليها. ولكن الصبي أينما تشلحه يروح. أما البنت فلا يجب أن تظل أمية. كسوريين أو كلبنانيين لا أحد يتميز عن أحد إلا بأعماله وأخلاقه فقط».

يبدو صوت الأب أكثر اعتراضاً من صوت الأم والأب الآخر. والشعور بالتصادم مع البيئة اللبنانية يظهر بقوة أكبر. إن «الأولاد اللبنانيين يمارسون التمييز، والجيران لا يريدون أن يسمعوا صوتنا». حبس الحرية هذا كما يراه الأب هو الفعل الذي تؤدي إليه مثل هذه الأفعال، أي إبعاد الأطفال وأهاليهم وحبسهم في أمكنة لا نفاذ منها إليهم. وفي موقف رافض يقول الأب إنه يمنع دخول الأطفال اللبنانيين إلى بيتهم. ثمة شعور قوي بالإهانة يحاول ردّها بنفس الطريقة. ردّ الاستقواء

بالاستقواء. وتقويض أساس التمييز الذي يمارسه اللبنانيون، ذلك أنه لا يقوم لا على العمل ولا على الأخلاق. بل وفي موقف دفاعي يعلن أن التربية السورية مختلفة بمعنى أنها أفضل، فالأولاد اللبنانيون يتسم كلامهم بالوساخة مثلما يقول. وهل ثمة دليل أكبر من هذا للتأكيد على تردي التربية التي يرفضها؟!

ما يهمنا من هذا الكلام، ليس مضمونه الواقعي وإنما رمزيته. إنه يشير إلى موقف اختلاف ثقافي واضح يعيشه الأهل، ويرمي بثقله على التفاعل بين الأطفال من الجنسيتين، فإما ينظرون إليه إيجابياً أو حيادياً وفي هذه الحالة ينعكس الأمر على الأطفال وبالتالي يلعبون مع رفاقهم اللبنانيين بدون مشكلة «ألعب مع لبنانيين وسوريين. ألعب مع لبنانيين أكثر لأنهم يسكنون بنفس المبنى»، ولا يؤثر على موقفهم التشاركي وجود خلاف إذ يمكن اعتباره أمراً اعتيادياً بين أطفال، كذلك الأمر بالنسبة إلى التنمر الذي يحصل بين الأطفال عموماً، كما عبّر الأطفال أنفسهم في إجاباتهم عن الأسئلة، فهو لا يحصل بين السوريين واللبنانيين فقط وإنما بين السوريين أنفسهم. «أصدقائي يلعبون بعنف ويضربوني». أو «الألعاب في سوريا فيها عنف أكثر والأطفال السوريين يغضبون بسرعة». ولكن عندما تغلّف هذه العلاقات والصراعات بين الأطفال بموقف عدائي كما في حالة الأب الثاني، فإنها تأخذ معاني مغايرة.

* مقابلة مع ابنة عمرها 12 سنة:

تقول الفتاة (لهجة لبنانية) «لبنان أحلى من سورية. هنا عندي رفقة في البيت وفي المدرسة (لهجة لبنانية) علاقتي حلوة مع الأولاد اللبنانيين. نتمشى معاً، ألعب معهم. هم لديهم ألعاب أنا ليس لدي. الفرق

بيني وبينهم أن لديهم كل ما يريدونه ولكن أنا لا. عندهم ATV يقولون لي تعالي العبي معنا، ولكن أنا أحيانا أقول لا لأنه ليس لدي ATV مثلهم. ولكن يرجعون ويلعّبوني معهم. صراحة أنا أحب أن ألعب مع اللبنانيين أكثر من السوريين».

تبدو البنت في المقابلة متكيفة إلى حد كبير مع واقعها ولا تعاني من مشكلة نبذ، وتشكل لهجتها اللبنانية أبرز مؤشر على ذلك. فكأنها تبنت الثقافة المحيطة بها إلى درجة أنها باتت تجدها أفضل من ثقافتها السابقة. غير أن شعورها بالحرمان يخفف لديها الشعور بالاندماج. هناك فاصل اجتماعي بينهما تعيه ولكنها تتعايش معه. ويساعدها على ذلك أن رفاقها اللبنانيين يتعاملون معها بمودة على حد قولها.

* مقابلة مع فتى سوري عمره 14 سنة:

يقول الفتى (لهجة لبنانية) «أنا لم أجد فرقاً بين لبنان وسورية. عندما كنا بسورية كنا أحسن مادياً كان عندنا كلاب ودجاج. عندنا بلبنان الكثير من الأصحاب اللبنانيين. صحيح أنهم لا يأتون عندنا في البيت ولكن نتلاقى بمركز الكمبيوتر. علاقتي جداً عادية معهم. مثلما أحب اللعب مع الأولاد السوريين. نلعب غميضة وقتال على الكمبيوتر GTA وPubG».

أيضاً يبدو موقف هذا الفتى متكيفاً إلى حد ما، كما يظهر من تبنيه للهجة اللبنانية. ولكن ثمة إشارة إلى الاستبعاد من خلال أن الأولاد لا يأتون إلى منزلهم. غير أن أماكن اللعب تشكل مساحة تفاعل بينهم. أيضاً ثمة إشارة إلى الحاجز الاجتماعي من حيث المستوى المادي حيث يتذكر الفتى أنهم كانوا في الماضي ميسوري الحال.

ثالثاً - معطيات مشاهدات اللعب:

ولمزيد من التعرف على واقع اللعب لدى الأطفال اللاجئين السوريين قمنا بمشاهدات لأطفال في أثناء اللعب. وتم تسجيل مجريات اللعب والكلام المتبادل خلالها.

مشاهدة رقم -1 لعبة بين أخوين فراس 4 سنوات وعلي 6 سنوات لعبة السيارة.

ركّبني معاك، إستنا، يلا خلصني.

يلا دفشني، تعال دفشني...

مرة دوري...مرة دورك (لهجة سورية)

لعبة تقوم على نشاط حركي وتبادل الأدوار.

مشاهدة رقم -2 فراس وعلي مع الهرة.

يركض علي خلف الهرة ثم يضعها في سطل. ويقول «بدي جيب البس (أي الهرة) حطها بالسطل وسكّر عليها وحط فوقها حجارة عشان ما تطلع. بدى حطها بالسطل وسكر عليها، بدي اخنقها. بدي انتقم منها. بدي قداحة»(لهجة سورية).

لعبة استكشافية. وفيها تفريغ للعدوانية من خلال محاولة خنق الهرة.

مشاهدة رقم -3 لعبة مع الهرة (3 صبيان أخوة: 4 و6 و10 سنوات)

-تعال، تعال هنا، لولو (للهرة) بِس بِس، شبيها (ما بها. لهجة سورية)

- انا بحبها، شوف ضربها. ما تهز أذنها؟ ثم يأخذ الهرة ويلعب معها

- ساويلها هيك... علّيها ونزلها. مياو - مياو .

-صوّرها صورة. خلّيها لحالها... يلا صوّرها. يلا نتصور مع البِسّة (أي الهرة) (يحمل أحدهم تلفون والدته)

- يلا تعا نسَوّي عش للعصفور

- يلا جمع حجار، بس مو كبار. حجار صغار.

- هلقد قدهن؟

- آه، حطن هين.

- يلا جمع وراق، جمع حجار صغار، يلا اسّا (الآن) حجارة.

(تم وضع الحجارة بشكل دائرة وفيها أوراق شجر)

- يلا بدنا نجيب عصفور ونحطو فيه.

- العصفور ما يجي لهون، أفضل نكبّر العش لنقعّد البِسّه فيه. يلا جيبو حجار.

- يلا جبلنا البِسّة، قعّدها هنا، غول (قول) لإمك بدي شقفة خبز للبِسّة.

(أحضر الولد قطعة خبز وأعطاها للهرة)

- عطوها خبز، ما تاكِل، مو جوعانة.

- شو رأيكن نتخبى عشان تاكل أو نستنى.

- رح نستنى... ما أكلت

لعب أدوار. وهي في العموم تشيع بدءاً من عمر الأربع سنوات. ويصير فيها تقليد الكبار وتعلم أدوارهم. وهنا تعلم دور الرعاية.

مشاهدة رقم -4 لعبة غميضة. نفس الأولاد

- تلعبوا غميضة...آه

- يلا أنا دوري...واحد، تنين، ثلاثة. بفتّح؟ لا تخافوا، شو مسوين بحالكن. شفتن. تعالوا أنا ربحت.

- فراس يلا غمض عيونك (واحد....)

- وينكم انا مو عارف وينكم. لقيتكن (أنا ربحت)

- وينا البِسّة. ماتت...تريد تموت.

لعبة جماعية تقليدية. وهي للأطفال من عمر أربع سنوات وما فوق تفيد في مهارة الاكتشاف والمهارة الحركية. كما تطرح موضوع الموت. ومن وظائفها تدريب الأطفال على أخذ القرار واختيار الموقع الآمن.

تنمّ مشاهدات اللعب عن سلوك طفولي عادي وملائم للعمر. لا إشارة إلى مآزم معينة وإنما هي من أنماط اللعب السائدة في أعمار الأطفال. ولأنها مشاهدات عابرة وعفوية، لا يمكن تحميلها بمعانٍ كبيرة. قد يستوقفنا تركيز اللعب على المكان. بناء مكان للعصفور أو للهرة، كما تطرح فكرة العيش والموت. ولكن لا شيء يشير إلى خصوصية ثقافية معينة، سوى اعتماد اللهجة السورية التي هي أمر طبيعي طالما أن اللعب يحصل بين أطفال سوريين، ونفهم منه أن التكلم باللهجة اللبنانية هو فقط من أجل التواصل ولكنه لم يصبح بعد من سمات الهوية لدى الطفل ربما بسبب حداثة إقامته في البلد المضيف أو بسبب الرغبة بالاحتفاظ بها.

الفصل الرابع
التكيف: مسار وعقبات

مقدمة:

التكيف مفهوم عام، يقف على رأس مجموعة من المفاهيم تدفع باتجاهه وقد ذكرنا اثنين منهما سابقاً: بناء الهوية والتثاقف، ويقابله في المقلب الآخر، مجموعة مفاهيم أخرى معارضة له وتدفع في الاتجاه الآخر ومنها العزل والاستعلاء والتي يمكن اختصارها بمفهوم النبذ.

إن تحقيق التكيف، لا يتم، وفقاً لعلم النفس، من خلال إزاحة الجوانب المعارضة بل على العكس من ذلك أي بالاعتراف بوجودها ومواجهتها، وقد يكون إنكار وجودها سبيلاً إلى استحالة ذلك التحقيق. أما من الزاوية الاجتماعية فتختلف النظرة ولكن من دون تناقض، فوفقاً لهذه الزاوية يصعب وجود مجتمعات خالية من أي من هذه المفاهيم ولكن العمل ينبغي أن ينصب على الدفع باتجاه الطرف الإيجابي على ذلك المقياس الذي يحتل بناء الهوية المتصالحة الموقع المتقدم فيه. وعملية التكيف، مثلها مثل كل العمليات النفس اجتماعية، تتأثر بعوامل متعددة، استطعنا من خلال دراستنا الحالية، وبنتيجة استعراض أجوبة الأولاد والأهالي ومراقبة اللعب لدى الأطفال تعيين اتجاهين لدى الأطفال:

أولاً - الشعور بالنبذ:

لا شك بأن ثمة شعوراً بالنبذ يعيشه الأطفال السوريون. وقد يكون هذا الشعور مستنداً إلى وقائع فعلية تجري، أو قد يكون متولداً

بشكل غير مباشر عن مواقف يعبر عنها الأهل وتترسخ في وعيهم. وفي عينة الدراسة تبيّن أن هذا الشعور يزداد حدة أو يضعف تبعاً لتأثير متغيرات متعددة:

1 – مكان العيش:

بالمقارنة بين أنماط العيش الثلاثة لأطفال العينة، يظهر لنا أن الوجود في مخيم هو أكثر أنماط العيش إثارة لمشاعر النبذ. فمن خلال أجوبة الأطفال يتبين لنا أن الأطفال (ما عدا طفل واحد) لا يلعبون سوى مع أطفال سوريين، ويرون أن الأطفال اللبنانيين لا يحبون اللعب معهم، ولم يتعلموا ألعاباً جديدة، وبرأيهم إن ألعابهم أكثر تشويقاً من ألعاب الأطفال اللبنانيين الهادئين والذي يلعبون أكثر بالألعاب الإلكترونية، وأن الأطفال اللبنانيين مملين، ويظهر امتعاضهم من السخرية من لونهم وإطلاق النعوت عليهم من قبيل «سوري اندبوري».

إن المخيم له حدود ظاهرة ومرئية، يعرف الأطفال أنهم دخلوا إلى مكان له خصوصية معينة. وبالتالي لا يمكن بسهولة لأطفال من خارج المخيم الدخول إليه بشكل حر وطليق. وبالتالي فإنهم يتجنبونه.

ثم إن المخيم يحمل وصمة **social stigma**. أبناء المخيم يحملون أثر هذه الوصمة. ويشير كروكر وماجور وستيل إلى أن «الأفراد الموصومين يمتلكون (أو يعتقد أنهم يمتلكون) صفة أو خاصية يُعتقد أنها تعبر عن هوية اجتماعية يُحط من شأنها في سياق اجتماعي معين» (مذكور في لينك وفيلان، 2020). وفي لبنان مثل هذه الوصمة لها أبعاد اجتماعية واسعة أو ممتدة الجذور. فهي لحقت بأطفال اللاجئين الفلسطينيين وجعلت بينهم وبين اللبنانيين ستاراً حاجزاً. وهي الآن

تقوم بالفعل نفسه بالنسبة إلى الأطفال اللاجئين السوريين الذين يعيشون في مخيم.

و«الوصم» يرتبط بصفة أو ميزة أو هوية تعتبر «دونية» أو «غير عادية». ويقوم الوصم على تركيبة اجتماعية تستند إلى كياني «نحن» و«هم» وترمي إلى تثبيت «الحالة الطبيعية» للأكثرية من خلال تحقير «الآخر». إن فهم علاقة الوصم بالسلطة الاجتماعية والتهميش والاستبعاد يكشف النقاب عـن محركات الوصم التي تكمن في المجالات الفردية والاجتماعية والثقافية والمؤسسية. ويـساهم الأفراد داخل المجتمع في خلق الوصم وتواصله. وغالباً ما تدوم الأفكار المـسبقة والنمطيـة لأجيال عدة وتقترن بخوف غير عقلاني من العدوى، أو «النجاسة» أو «الاختلاف» (كاتارينا، 2014). ولنتذكر هنا الأجوبة المتنوعة حول النظافة والوساخة التي وردت على لسان الأطفال «لاجئون، وسخون، طالعة ريحتكم» أو حديث الأب السوري عن الكلام «الوسخ» عند اللبنانيين. إنها مواجهة بين ثقافتين تستخدمان سلاح النبذ.

ولقد ظهر لنا من مقارنة أجوبة الأطفال بحسب مكان إقامتهم، أن العيش داخل المخيم يؤدي إلى الشعور بالوصمة الاجتماعية أكثر مما لو كانوا يعيشون في بيئة مفتوحة ومخالطة لأفراد المجموعات الأخرى. علماً بأن بعض الدراسات تشير إلى عكس ذلك. على سبيل المثال، أظهرت دراسة « أن المراهقين في مخيم الزعتري في الأردن هم أقل خوفاً واكتئاباً من أولئك الذين يعيشون خارج المخيمات، ويشعرون أيضاً بدعم أكثر من والديهم والأشقاء والأصدقاء في منتصف عام 2014 مقارنة مع

منتصف عام 2013 (مكي-برادة وآخ.، 2015). وقد يكون السبب وراء هذا الاختلاف له علاقة بالتجربة اللبنانية والعلاقات التاريخية والسياسية والاجتماعية ما بين البلدين.

بالمقابل، إن العيش في مكان مفتوح على المحيط حتى ولو كان متواضعاً يبدو أنه يعطي الأطفال السوريين شعوراً أكبر بالتكيف، إذ وجدنا أن عدداً أكبر من الأطفال اللاجئين في حي السلم اختاروا، بالمقارنة مع الساكنين في مناطق أخرى، ألعاباً خارجية مثل كرة القدم وكانوا يلعبون مع الأطفال اللبنانيين بدون فرق. كما تعلموا عدداً من الألعاب يفوق ما تعلمه الأطفال اللاجئون الآخرون. أما بالنسبة إلى الأمور المزعجة، فإنهم عبروا عن انزعاجهم من العنف المنتشر في الحي بشكل عام من قبل اللبنانيين والسوريين. كما ذكروا بشاعة الحي اكثر مما صبوا انزعاجهم على الأطفال الآخرين.

ما تقدم لا يعني أن لا سلوكيات استبعادية في حي السلم، فهنالك من يتعرض للضرب من قبل الأطفال اللبنانيين وهنالك من لديه مشكلة في التفاهم مع اللبنانيين بسبب اللكنة وطريقة اللعب وهنالك من لا يلعب مع اللبنانيين لأنهم يسخرون منهم ويرفضوهم. لكنها كما بدا من الأجوبة أقل وروداً وأقل حدة من أقوال الأطفال في المخيم.

2 - المنشأ الاجتماعي:

ينقل لنا الأطفال القادمون من بيئة مرتاحة مادياً صورة أكثر تكيفاً مع المحيط الاجتماعي. كما هو الحال لدى أطفال منطقة الكورة الذين يعيشون في بيوت مستأجرة ويقولون إن وضعهم المادي في سوريا كان جيداً. فالمقابلتان اللتان أجريتا مع فتى وفتاة من أسر تلك المنطقة

تعطينا انطباعاً بأنهم متكيفون أكثر من باقي الأطفال ومن المؤشرات على ذلك تبني اللهجة اللبنانية ووجود أصدقاء لبنانيين. ويمكن للمرء أن يفكر بأن الشعور بأنه من منشأ اجتماعي ليس أقل من الآخرين، حتى ولو كان هذا الأمر من الماضي، فإن آثاره تستمر في الشعور بالثقة بالنفس أو على الأقل بمحو أثر الاستعلاء، وبأن الوضع الحالي هو مؤقت ويمكن أن يعود إلى وضعه الطبيعي لاحقاً.

3 – الوضع الاقتصادي:

كل الإجابات التي أعطيت أشارت بشكل أو بآخر إلى الفقر باعتباره سبباً للنبذ. ويتمثل هذا الفقر بعدم امتلاك مكان للسكن ملائم، أو بعدم امتلاك ألعاب مماثلة لألعاب الأطفال الآخرين. ويعتقد الأطفال اللاجئون السوريون أن فقرهم مرئي من قبل الآخرين_وهم يتعاملون معهم على هذا الأساس. وكثير من الأجوبة أشارت إلى استعلاء الأطفال اللبنانيين، بالنظر إلى ما يملكونه. وقد يكون هذا السبب هو الذي جعل أطفال حي السلم السوريين لا يشعرون بالنبذ بسبب تشابه أوضاعهم.

4 – موقف الأهل:

يساهم موقف الأهل من البيئة المحيطة بكيفية عيش أطفالهم لتجربة التفاعل مع أطفال هذه البيئة. فإذا كان الأهل يشعرون بالنبذ، فإن هذا الشعور سوف ينتقل بطريقة أو بأخرى إلى أبنائهم. من هنا مثلاً الموقف الإيجابي الذي ظهر لدى أهل الأطفال في منطقة الكورة والذي رأينا أن أطفالهم بالمقابل يعبرون عن موقف متكيف وغير ناقم.

ثانياً - اتجاه التكيف:

تدل أجوبة الأطفال بأن إمكانية اللعب متاحة. لا بل إن الوقت الذي يمضونه في اللعب هو طويل نسبياً. وهذا يشير إلى أن الأطفال يقومون من خلال اللعب بتفريغ شحنات الطاقة السلبية لديهم. مما يذكرنا بمعادلة طفل يلعب هو طفل متكيف. إن الوظيفة الأساسية للعب هي الوصل بين العالمين الداخلي للأطفال والعالم الخارجي. ويسمح اللعب بتأمين تلك المساحة الآمنة التي يحرر فيها الأطفال مشاعرهم المكبوتة ويمكّنهم من بناء قدرات مواجهة للمصاعب، في حيز يقومون باختراعه، بعيداً عن ضغوط الواقع التي تلقي بثقلها عليهم. فالأطفال يدخلون إلى عالم منسوج على قواعد ليست مفهومة وليست من إنتاجهم، وقد تكون في أحيان كثيرة مخالفة لأهوائهم. إنهم مدعوون للاندماج في هذا العالم، ولا قدرة لهم على تغييره. فيكون اللعب، وهو المساحة الخاصة بهم، وسيلتهم إلى ذلك. وفي اللعب يمكنهم استخدام مهاراتهم: الحرية في المكان من خلال الألعاب الحركية، والحرية في التفكير من خلال الألعاب الخيالية، والحرية في التفاعل من خلال الألعاب الجماعية. وفي الواقع، توزعت الحالات التي تم درسها في مجموعتين، مجموعة أولى وتضم الأطفال الذين يلعبون مع أبناء جنسيتهم ومجموعة ثانية تضم الأطفال الذين يلعبون مع أبناء جنسية أخرى. وإذا كان التكيف على الصعيد النفسي قائماً في حالة المجموعتين، إلا أنه يمكن القول بإن حالة المجموعة الثانية تسمح أكثر بتوقع سهولة التكيف على الصعيد الاجتماعي نظراً لإمكانية التثاقف وبناء الهوية التي يتيحها التفاعل مع ثقافة مغايرة.

أما أنواع اللعب التي ساهمت بالدفع باتجاه التكيف، فنتوقف عند الأنواع التالية:

الألعاب الحركية :

ويتبين من الأجوبة أن أكثر الألعاب شيوعاً هي اللعب الحركي، والألعاب التي تم ذكرها هي: كرة القدم (الأكثر تفضيلاً من قبل الصبيان)، السكوتر، كرة السلة، التنس، الكاراتيه، الدراجة الهوائية، الزحليطة، النط بالحبلة، الكلل، المصارعة، الركض، تسلق الأشجار، الأرجوحة.

إذا نظرنا إلى هذه الألعاب فسنجد أنها كلها ألعاب تحاول امتلاك الفضاء الجغرافي. كما لو أن الأطفال اللاجئين يريدون من خلالها أن يكونوا جزءاً من المحيط الذي يعيشون فيه. وتبدو لعبة كرة القدم هنا مفضلة لأنها من جهة تجري في الخارج، وتضم عدداً كبيراً من اللاعبين، وهي جاذبة بطبيعتها لانضمام الأفراد من داخل المجموعة أو من خارجها إليها (طبارة، 2021). فلا اللغة تشكل حاجزاً للتفاهم ولا شبكة العلاقات التي تقوم بينها تقوم على سلطة خارجية. إن مهارة اللاعبين هي المحدد الأول للمشاركة فيها. ثم إن لعبة كرة القدم هي لعبة شعبية، وتساعد على بناء علاقات اجتماعية إضافة إلى ما تؤمنه من لياقة بدنية. وبحسب وصف أحد الدارسين فإن هذه اللعبة تلعب دوراً هاماً في إدخال الفرح والسرور في قلوب متابعيها، وتمنحهم المزيد من المتعة، بل وتساعد البعض على تجاوز لحظات اليأس والقنوط، وتمنحهم ما يكفي من اللحظات الجميلة ومن المشاعر المرهفة بالانتصار، بل وتجدد روح العزيمة في نفوس المحبطين (حكان، 2019). إنها لعبة تساهم في زيادة الثقة بالنفس واحترام الذات، وتخفف القلق من خلال فرز الاندروفينات

الجيدة في الجسم بعد المباراة. كما تشير الدراسات إلى أنها تمثل علاجاً فعالاً للغاية للاكتئاب والقلق (خير، د.ت). ويصبح مفهوماً والحال هذه لجوء الأطفال اللاجئين (لا سيما الذكور منهم) إلى هذه اللعبة، التي تقوم على تفريغ شحنة العدوانية التي ترافق الطفولة عموماً وشحنة الاقتلاع والاغتراب لدى المهجّرين عنوة من أماكنهم.

الألعاب الجماعية:

تمتاز الألعاب الجماعية بقدرتها على نقل الثقافة. فهي تعتمد اللغة وسيلة أساسية كما تعتمد القواعد الاجتماعية في التفاعل بين الأطفال. ومن خلال هذين المدخلين، يمكن للأطفال استيعاب قيم ثقافتهم وتشرّبها. وفي الواقع فإن الألعاب الجماعية هي ألعاب تقليدية، بمعنى أنها موجودة قبلهم ولم يضعوا هم أنفسهم قواعدها. إنها ألعاب توارثوها من الأجيال السابقة.

وفي عينة الدراسة لاحظنا انتشار نوعين من الألعاب الجماعية التقليدية، الأولى وهي لعبة الغميضة (التي على ما يبدو مرغوبة كثيراً) والثانية هي لعبة الآغا أو جلاد- حرامي[1] ، وهي معروفة في أكثر الدول

---

(١) يكتب على أربع قصاصات صغيرة "حاكم"و"لص" و"جلاد" و"مفتش"، ثم بعد أن نطويها جيداً، ننثر هذه القصاصات في الهواء. تسارع أربع أيدٍ عجولة، فتخطف كل واحدةٍ ورقة، ويفتح كل واحد ورقته محاولاً أن يخفي ملامح وجهه حتى لا تشي بشيء حول مضمون ما فاز به، ثم وهو يغمز بعينه غمزة المنتصر يسأل الذي كان نصيبه أن يكون "الحاكم": من "المفتش"؟ فيعلن الأخير عن نفسه أمام الحاكم الذي يكلّفه فوراً بأن يخرج له "اللص".ليتولّى "الجلاد" معاقبته على يده بالمسطرة بعدد من الضربات الخفيفة أو الشديدة حسب ما يقرر الحاكم، في حكم ميداني سريع! وإن فشل المفتش في تعيين اللص تكون الضربات من نصيبه هو.

العربية وليست فقط في سوريا (إبراهيم، 2015). واللعبتان معروفتان في سوريا وفي لبنان. وإن كانت لعبة الغميضة ما زالت منتشرة على الأكثر، في حين أن لعبة جلاد حرامي تبدو أقل انتشاراً.

ولئن كانت هذه الألعاب جماعية، إلا أنه في أكثر الأحيان يتم لعبها داخل مجموعات الأطفال المتجانسة. فهي لا يمكنها، كما لعبة كرة القدم، إخفاء الانتماء الثقافي، بل بالعكس فإنها تعمل عليها. وقد لاحظنا في مجموعات أطفال اللاجئين أن لعبة الغميضة هي الأكثر وروداً، وأن اللاجئين يلعبون الغميضة مع أطفال بلدهم وليس مع الأطفال اللبنانيين. ويمكن فهم ذلك من حيث أن اللعبة تقوم على الكلام، وسوف يظهر من خلال لهجتهم، أنهم مختلفون عن أطفال المجتمع المضيف. لذلك، في حال وجود مشاعر نبذ، فإن هذه اللعبة يمكن أن تستدعي الخجل من جهة الطرف المنبوذ وقد ذكر بعضهم انهم يفضلون اللعب مع أقرانهم السوريين «بسبب اللهجة وبعض العادات المختلفة»، بالإضافة إلى ما ذكروه من عبارات تنمّ عن شعورهم بالنبذ «نحن لا نحب اللعب مع اللبنانيين لأنهم يتنمرون علينا... يسخرون منا ويرفضوننا...». كما تقول إحدى الفتيات إنها تشعر بالخجل ولا تستطيع اللعب على راحتها مع اللبنانيين. ومن المثير ملاحظة عدد الفتيات اللواتي عبّرن عن الشعور بالنبذ، ويمكن أن يكون ذلك عائداً إلى نوع اللعب الذي يمارسنه والذي يقوم أكثر على الكلام والشفاهة. وبالمحصلة وعلى الرغم من أن الألعاب التقليدية لا تستدعي من تلقائها التفاعل مع الآخر المختلف، إلا أنها تشكل دعامة لبناء شخصية متوازنة من الناحية النفسية والاجتماعية.

اللعب الإلكتروني:

ذكر العديد من الأطفال أنهم يلعبون بالألعاب الإلكترونية. ويبدو أن ثمة مراكز لعب في الأحياء يذهبون إليها لممارسة مثل هذه الألعاب. وذكر بعضهم لعبة إلكترونية محددة هي PUBG[1] وهي لعبة جماعية (يصل عدد لاعبيها إلى المائة) وتقوم على الحرب والانتصار ويفوز من يبقى حتى الأخير (PUBG Mobile, 2018). وبالطبع قد تسمح هذه اللعبة بالاشتراك مع الأطفال اللبنانيين (كما ظهر خصوصاً في حي السلم) من خلال المقاهي الموجودة. وهي على شاكلة لعبة كرة القدم يشترك فيها العديدون، غير أن هذا الاشتراك في اللعب لا يعني التواصل. فهي لا تستدعي الحوار والدخول في تسويات مثل الألعاب التقليدية.

إنها ألعاب تقوم على العنف والمنافسة. وتعطي لاعبيها شعوراً بالانتصار. والدراسات تعطي نتائج متناقضة حول وظيفتها. فمنها ما يشير إلى أنها نوع من الهروب. فاللاعبون يهربون إليها من مواجهة مشكلات العالم الواقعية. وبما هي وسيلة هروب، فإنها تؤمن نوعاً من الإلهاء المؤقت، بدون التخفيف من ضغوط العالم الحقيقي، ولكن التمادي في هذا النوع من اللعب يؤدي إلى تفاقم هذه المشكلات. كما

---

(١) وتسمى باللغة العربية درع القوة. ويقدمها المعلنون على أنها «صُممت لعبة PLAYER UNKNOWN>S BATTLE GROUNDS الرسمية حصريًا لأجهزة الموبايل. بالتالي يمكنك اللعب مجانًا في أي مكان وزمان... ادخل بالمظلة وتجّهز للمنافسة. اصمد خلال المعارك الملحمية الكلاسيكية المتضمنة ١٠٠ لاعب، ووضع الحمولة، والوضعين سريعي الوتيرة؛ المباراة المميتة والزومبي، بنمط ٤ ضد ٤. فالصمود هو مفتاح النصر وآخر من يصمد هو الفائز. حين يناديك الواجب، أطلق النار في الحال!" https://play.google.com/store/apps/details?id=com. tencent.ig&hl=ar&gl=US

أشار البعض الآخر إلى هذه الألعاب كسبب محتمل للمواقف والتصرفات العدوانية، وللمشكلات الانفعالية مثل الاكتئاب والهيجان الحركي وقلة الانتباه. ولكن ومع ذلك فهنالك اتجاه بدأ يتكرس ويرى إلى هذه الألعاب كمجال للتدرب على عادات ذهنية صحية. وأنها يمكن أن تدعم التواصل والتعاون كما تساعد على حل الانفعالات السلبية مثل الإحباط. وأكثر من ذلك فإن ألعاب الفيديو يبدو أنها تعطي مجالاً لتحقيق الحاجة إلى التقرير الذاتي مما يؤدي إلى دعم الحالة النفسية (Lobel et al., 2017).

وفي هذا الاتجاه الإيجابي الآخذ بالبروز أكثر فأكثر، تبين الدراسات أن ألعاب الفيديو هي شكل من اللعب حديث وله معنى، وأنه يستجيب لحاجات الأطفال النمائية، مثلما تستجيب الألعاب التقليدية لذلك. لا بل إن انتشار هذه الألعاب بين الأطفال، يمكن أن ينبئ بأن النمو الاجتماعي قد انتقل من ألعاب الميدان الجسدية إلى الميدان الرقمي. وأن هذه الألعاب غدت، في السنوات العشر الأخيرة، وسائط تثري الصعيدين الاجتماعي والانفعالي (Lobel et al., 2017).

إن صفة الحداثة لهذه الألعاب، تعطيها قيمة مضاعفة. فلا يمكن اليوم تصور احتمال الدخول في العالم الحديث دون المرور بتعلم هذه الوسائط. تماماً كما كانت الألعاب التقليدية قديماً ممراً للدخول في ثقافة زمنها. ومن هنا فإن ثمة وظيفة إيجابية أكيدة للعب الإلكتروني بالمعنى العام للكلمة، مع الحفاظ طبعاً على المعايير المطلوبة في كل أنماط اللعب، ألا وهي عدم الإدمان والتنوع والتواصل مع الآخرين.

إذن، يمكننا أن ندرج هذه الألعاب في باب وسائط التكيف التي يقوم بها أطفال المخيمات. فالقدرة على الإمساك بخيوط اللعبة والتوصل إلى

تحقيق الانتصار فيها، يعطي الأطفال شعوراً بالتمكن، وتجاوز حالة الاستتباع التي يعيشون فيها كلاجئين.

وفي هذا الإطار، تلفت بعض الأجوبة من قبل الأطفال اللاجئين التي ترسم صورة للطفل اللبناني باعتباره غارقاً في هذه الألعاب الإلكترونية بشكل يجعله غير مرحب باللعب التقليدي مع الأطفال الآخرين. والبعض يذكر بأن هذا الأمر يجعل الأطفال اللبنانيين هادئين جداً ومملين. وبالطبع فإن مثل هذه الصورة المتكونة في أذهان الأطفال السوريين متأتية من كونهم لا يلتقون كثيراً مع الأطفال اللبنانيين في بيوتهم أو في الأحياء، وقد يوحي لهم ذلك بأنهم منصبين على أجهزة الكمبيوتر، علماً بأن هذه الألعاب هي على قدر كبير من الانتشار، وقد تكون الإشارة صائبة إلى حد ما.

أي شكل من التكيف يعيشه الأطفال السوريون في لبنان؟

إذا عدنا إلى أنماط التكيف الأربعة التي يعيشها اللاجئون، وهي بالتدرج نزولا من الدرجة الأقوى من حيث الغوص في العيش داخل البيئة الجديدة إلى الأضعف، أي الاستيعاب والاندماج والانفصال/التقوقع والتهميش، ومع التذكير بأن الدرجة الثانية تعتبر هي الأكثر تكيفاً وليس الأولى، لأن الثانية تسمح بالحفاظ على عناصر من الثقافة الأصلية إلى جانب الثقافة الجديدة. ينبغي هنا أن نشير إلى أن هذه التركيبة هي متعلقة بالأشخاص البالغين وليس بالأطفال أنفسهم، ولكن يبقى أن هؤلاء سوف يتأثرون بنمط التكيف الذي قامت به الأسرة. إن ما لاحظناه من محاولة المجتمع اللبناني وضع سدود أمام الدرجتين الأوليتين أي الاستيعاب والاندماج، لا يترك خياراً للأسر اللاجئة السورية سوى إما أن

تنفصل وتؤسس لنفسها عيشاً خاصاً تتصل من خلاله بالخارج بشكل محدود، أو أن يجرى تهميشها بالكامل وتسد عليها منافذ التواصل. والأطفال يلعبون بين هذين المجالين، ويمكن أن تفتح أمامهم أبواب تواصل مختلفة عن تلك المتاحة أمام الأهل، من خلال المدرسة أو اللعب في الشارع أو في مراكز الألعاب الإلكترونية. ومن هنا أهمية توسيع هذه الأبواب، لا سيما باب التعليم، فمن خلاله يمكن تفادي الكثير من الصعوبات التي يمكن أن تعيق عملية التكيف لدى الأطفال لاحقاً.

خلاصة

في إجابة على أسئلة الدراسة التي انطلقنا منها، يمكن القول بإن نعم ثمة تحولات في الهوية. هنالك تجارب خاضها الأطفال وتركت أثرها عليهم. هذه التجارب ليست إيجابية دوماً ولكنها مؤثرة بكل المعاني. فأن يروا أنفسهم في مرآة الآخرين هو أمر قد يكشف لهم بعض الجوانب الخفية في شخصيتهم. لقد لاحظنا أن نظرتهم إلى الأطفال اللبنانيين لم تكن واحدة، منها ما استبطن إحساساً بالعدائية نتيجة شعوره بأنه غير مرحب به، أو نتيجة شعوره بأن ما يملكه أقل أو مختلف. هذه العدائية أحياناً تمت مجابهتها «الأطفال اللبنانيون مملون» أو استنكارها «لماذا لا يلعبون معي» أو إنكارها «أنا ألعب فقط مع رفاقي السوريين». ولكن لا يمكن إنكار أن هذه النظرة حملت أيضاً التعبيرات الإيجابية «أنا أحب اللعب مع الأطفال اللبنانيين».

إما بالنسبة إلى موضوع الاندماج، فالأمر متعلق أكثر بالأهل منه بالأطفال أنفسهم. الأطفال يتفاعلون مع مختلف التجارب، سلباً وإيجاباً، ويمكن أن يقدم لهم ذلك التفاعل درساً مفيداً. ولقد لاحظنا أن بعض الأطفال كان يتعرض للتنمر وللسلوك العدواني من قبل رفاقه السوريين. إذن إن ما يعطي معنى لهذا التفاعل، هو درجة تسامح الأهل وقبولهم. إن الأهل يشكلون المصفاة التي من خلالها يرسم الأطفال توجهاتهم، فإذا كانوا إيجابيين، فإن الأطفال يخوضون التجربة بكل قدراتهم، بما فيها التكلم باللهجة اللبنانية. والعكس صحيح، فحين يكون الواقع مسيجاً بالعزلة (مثل أسوار المخيم) فإنه من الصعب مدّ أواصر التفاعل والاندماج.

وإذا أخذنا الجانب النفسي من مسألة التكيف، فإنه يمكن الافتراض

بأن هؤلاء الأطفال الذين لعبوا وتكلموا وأخرجوا ما في صدورهم، فإن من الصعب أن يتحول الأمر إلى اضطراب نفسي، لأنه من المعلوم أن اللعب والكلام هما الوسيلتان الأساسيتان للسيطرة على الضغوط النفسية وللتكيف النفسي. وقد رأينا أن أنواع الألعاب الممارسة هي كلها تقع في باب التفريغ الانفعالي والعاطفي.

وبذلك يمكن القول إن الأطفال الذين التقيناهم اظهروا نوعاً من التكيف النفسي. وبدا لنا اللعب وسيلة أساسية إلى هذا التكيف. ولكن ظهر لنا أيضاً مدى أهمية دور الأهل في تكريس هذا التكيف. فالأهل أنفسهم يحتاجون إلى نوع من الدعم النفسي والاجتماعي حتى يلعبوا دور السقالة العاطفية **Emontional Scaffolding** فيستند إليها الأطفال ويسيرون في طريق نموّهم السوي. ومثلما أشارت دراسة أجريت حول دور الأهل في مشاكل الصحة العقلية التي يختبرها الأطفال اللاجئون وجدوى التدخل المرتبط بالعلاج عبر اللعب الذي يجمع بين الأهل والأطفال(**Eruyar, et al., 2018**)، فإن هذا الجمع له تأثير كبير وأظهر تحسناً على الأطفال، مما يؤكد أن رؤية الأطفال بمعزل عن السياق العلائقي الذي يتفاعلون فيه مع أهلهم، يعطي فكرة غير مكتملة حول مسار التكيف لديهم.

ونخلص إلى أن ما بين التكيف النفسي والتكيف الاجتماعي هنالك مسافة يجب قطعها. إذا كانت وسائل التكيف النفسي متوفرة لهؤلاء الأطفال اللاجئين من خلال مساحة اللعب والاحتضان من قبل الأهل، فإن التكيف الاجتماعي يتطلب جهداً خارجياً يقوم على الاستيعاب والمؤازرة، ومدخل ذلك هو الأهل أنفسهم. فإذا ما شعر الأهل بالأمان الاجتماعي، استطاعوا أن يكونوا جسر عبور لأطفالهم نحو تكيف تام.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

إبراهيم، إ. ج. (2015) حاكم، جَلاد. الغد، https://tinyurl.com/9b6pnuse

بهاتي، جبين (2020). شبح التسرب من المدارس والزواج المبكر يطارد الفتيات السوريات اللاجئات في لبنان، موقع الفنار للإعلام 24/11/2020 https://www.alfanarmedia.org/ar/2020/11/

بو بكر،ج (2016). الهوية والعولمة .مجلة حكمة https://tinyurl.com/5anba5kf .

حبيش، ه (2016). النبعة: لبنانيون وسوريون يتنافسون على البؤس. المدن. https://www.almodon.com/society/2016/4/13

حطيط، ف. (2006). اللعب في الطفولة المبكرة، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية.

حطيط، ف. القادري، ن (2019). اللاجئات السوريات إلى لبنان: تحديات الأمومة. https://www.academia.edu/

حكان، ي (2019). كرة القدم من صناعة الفرجة إلى توليد العنف. الجزيرة https://tinyurl.com/6mxc9t59 .

خير، م (د.ت). فوائد كرة القدم أكثر مما تتوقع. ويب طب. https://tinyurl.com/3pvv5f3t

الدالاتي،ي (2019). محنة اللاجئات السوريات في لبنان .تحرش ومضايقات وزواج قسري. نون بوست. https://www.noonpost.com/content/28209

دويتشه فيله (2021). اللاجئون في لبنان.. متى يحين دورهم بتلقي لقاح كورونا؟ 11-4-2021 https://bit.ly/34G338s

زين الدين، خ (2019).لبنان و»ضحايا اللجوء» - آلاف التلامذة غير مُعترَف بتعليمهم. مهاجر نيوز.https://tinyurl.com/ysheus3t

الشرباتي، ك، نمور، ج (2015) مدى إحساس اللاجئين السوريين بالأمان في لبنان. معهد العلوم السياسية في جامعة القديس يوسف.

الشرباتي، ك.، لحود، ك.، ونمور، ج (2016)، استطلاع حول التعليم لدى الأطفال السوريين اللاجئين في لبنان. معهد العلوم السياسية في جامعة القديس يوسف.

شربل، م (1991). التطور المعرفي عند جان بياجيه، بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

شفايكله، ز (2020). لاجئون سوريون في بيروت.. «أفضل شيء هو المغادرة من هنا»، مهاجر نيوز، https://p.dw.com/p/3iAWR

طبارة، ش (2021). «كابتن الزعتري»: ليس للاجئين سوى أحلامهم! الأخبار.https://al-akhbar.com/Cinema/299621

كاتارينا، د. ا (2014). تقرير المقررة الخاصة المعنية بحق الإنسان في الحصول على مياه الشرب المأمونة وخدمات الصرف الصحي (.No G1411282). .الأمم المتحدة.https://tinyurl.com/vzcxztwx

كالبرتسون، ش.وكونستانت، ل (2015).تعليم أطفال اللاجئين السوريين إدارة الأزمة في تركيا ولبنان والأردن. مؤسسةRAND، سانتا مونيكا، كاليفورنيا. https://www.rand.org/pubs/research_reports/RR859.html

لينك، ب. ج. وفيلان، ج. ك (2020). مفهمة الوصمة. عمران، 8(31)، 141-168. https://omran.dohainstitute.org/ar/031/Pages/art06.aspx

مكي- برادة، ع.ا.، كيوش، ك.،الشامي، ر.،ديفيل-ستويتزل، ج. ب.، يوسف،أ.، جيفي-بهلول، ح.، بركيل-أوتيو، أ.، كوتس،آ.،وسونغ، س (2015). الثقافة والسياق والصحة العقلية و المعافاة لدى السوريين. UNHCR. https:// data2.unhcr.org/en/documents/details/44027

مملكة الفقر المهملة (2015) .حي السلم: ، الأخبار..https://p dw.com/p/1Gyt

المناصير, ن.. (2016)سوريات قاصرات. هربن من الحرب فوقعن في الزواج المبكر. https://www.alarabiya.net/arab-and-world/ /syria/2016/09/01

وصول (2020) (ACHR).ملخّص أوضاع اللاجئين السوريين بظل جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد - 19).

ورشة الموارد العربية (د.ت). البحث عن الهوية. ورشة الموارد العربية https://mawared.org/ar/content/adopaper1

وهبي، ي (2015).لاجئات سوريات في لبنان- معاناة يومية وسط ظروف غير إنسانية.

اليونسكو،(2020).تقرير جديد لليونسكو يكشف عن عدم إحراز تقدّم كافٍ من أجل دمج الأطفال المهاجرين واللاجئين في نظم التعليم الوطنية، 2

ثانياً: المراجع الأجنبية :

Akhtar, S. (1995). A third individuation: Immigration, identity, and the psychoanalytic process. Journal of the American Psychoanalytic Association, 43(4), 1051–1084. https://doi.org/10.1177/000306519504300406

Anzieu, A.; Anzieu-Premmereur, C.; Daymas, S. (2000).

Le jeu en psychothérapie de l'enfant. Paris, Dunod, P.14

Calin, D. (2019, August 28). Construction identitaire et sentiment d'appartenance. Psychologie, éducation & enseignement spécialisé. http://dcalin.fr/textes/identite.html

Chamberland, G., &Provost, G. (1996). Jeu, simulation et jeu de rôle. Québece ; Presse de l'Université de Québec.

Charles, L., &Denman, K. (2013). Syrian and Palestinian syrian refugees in Lebanon: The plight of women and children. Journal of International Women's Studies, 14(5), 96–111. https://vc.bridgew.edu/jiws/vol14/iss5/7/

DeJong, J., Sbeity, F., Schlecht, J., Harfouche, M., Yamout, R., Fouad, F. M., Manohar, S., & Robinson, C. (2017). Young lives disrupted: Gender and well-being among adolescent Syrian refugees in Lebanon. Conflict and Health, 11(S1), 25–34. https://doi.org/10.1186/s13031-017-0128-7

Eruyar, S., Maltby, J., &Vostanis, P. (2018). Mental health problems of Syrian refugee children: The role of parental factors. European Child & Adolescent Psychiatry, 27(4), 401–409. https://doi.org/10.1007/s00787-017-1101-0

Foner, N., Deaux, K., & Donato, K. M. (2018). Introduction: Immigration and changing identities. RSF: The Russell Sage Foundation Journal of the Social Sciences, 4(5), 1–25. https://doi.org/10.7758/rsf.2018.4.5.01

Fung, K. (2012). Psychological acculturation. In: Loue

S., Sajatovic M. (eds) Encyclopedia of immigrant health. New York, Springer, https://doi.org/10.1007/978-1-4419-5659-0_620

Gaussot, L. (2001). Le jeu de l'enfant et la construction sociale de la réalité. Le Carnet PSY, 62(2), 22–29. https://doi.org/10.3917/lcp.062.0022

Habitat-UN (2015). **هل من مأوى لهم؟ بحث حول توفير مآوي مؤقتة للاجئين السوريين في لبنان.** https://www.aub.edu.lb/ifi/Documents/publications/books/2015-2016/20151124_no_place_to_stay_arab.pdf

Human Rights Watch. (2018, September 13). **لبنان: تعثّر جهود إدراج الأطفال السوريين في المدارس.** https://www.hrw.org/ar/news/2018/12/13/325000

Human Rights Watch. (n.d.). 2018 **لبنان أحداث عام**. https://www.hrw.org/ar/world-report/2019/country-chapters/325358

Human Rights Watch. **لبنان أحداث** 2019https://www.hrw.org/ar/world-report/2020/country-chapters/336705#1a332d

Katsman, S. (2013). Adaptive leadership: "holding environment", Part 5. Easy Small Business HR. https://easysmallbusinesshr.com/2013/09/adaptive-leadership-holding-environment-part-5/

Kindalin. (n.d.). Children have a strong sense of identity. https://www.kindalin.com.au/eylf/1-0-children-have-a-strong-sense-of-identity/

Koujanian, S. (2016, July). Every child has a right to education (Master's Thesis). Lebanese American University. https://doi.org/10.26756/th.2016.23

Lobel, A., Engels, R. C. M. E., Stone, L. L., Burk, W. J., &Granic, I. (2017). Video gaming and children's psychosocial wellbeing: A longitudinal study. Journal of Youth and Adolescence, 46(4), 884–897. https://doi.org/10.1007/s10964-017-0646-z

Martin, L. (2015, November). La vulnérabilité psychologique des enfants de migrants : étude de la population d'un centre médico-psychologique infantile (Master'sthesis). HAL. https://dumas.ccsd.cnrs.fr/dumas-01284227

Mayhew, M., MD. (2018, April). Adaptation et acculturation. Les Soins Aux Enfants Néo-Canadiens. https://www.enfantsneocanadiens.ca/culture/adaptation

Mayoraz, B. (2006). Le rôle de l'enfant migrant dans la relation parents-enseignants (Bachelor's dissertation). Haute école pédagogique du Valais. https://doc.rero.ch/record/8686?ln=en

National Institute of Mental Health. (1981). Caring about kids: The importance of play (DHHS-ADM-81-969). https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED208980.pdf

Noureddine, M. F. (2015, April). Protecting Syrian refugee children in Lebanon (Master's thesis). Lebanese

American University. https://doi.org/10.26756/th.2015.10

PUBG Mobile (1.4.0). (2018). [Mobile game]. Tencent Games. https://www.pubgmobile.com/en-US/home.shtml

Raburu, P. A. (2015). The Self- Who Am I?: Children's identity and development through early childhood education. Journal of Educational and Social Research, 5(1), 95–102. https://doi.org/10.5901/jesr.2015.v5n1p95

Sabatier,C.(1991). Les relations parents-enfants dans un contexte d'immigration. Ce que nous savons et ce que nous devrions savoir. Aspects de la dynamique conjugale, Volume 16, numéro 1, printemps 1991. https://doi.org/10.7202/032209ar

UNHCR. (1987, July 9). Note sur les enfants réfugiés. Refworld. https://www.refworld.org/cgi-bin/texis/vtx/rwmain?docid=3ae68cc914

Wilding, J. (2017). Unaccompanied children seeking asylum in the UK: From Centres of Concentration to a Better Holding Environment. International Journal of Refugee Law, 29(2), 270–291. https://doi.org/10.1093/ijrl/eex019

Wood, L., & Attfield, J. (1996). Play, Learning and the early childhood curriculum. London, Paul Chapman Publishing.